ديوان السليمانيات

(مجموعة خواطر شعرية)

عَـــزة الخيـــر

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

عَزة الخير (عَشْريات وُجدانية)

(المقدمة)

(ابتليتْ أم عبد الله بأوجاعَ شتى وأمراض عديدة ، شفاها الله وعافاها! فتوسلتُ إلى الله بهذه الأدعية الشعرية داعياً الله الشافيَ المعافيَ أن يَشفيها ويُعافيها! يقول أحد السلف: "ما أصابتني مُصيبة إلا حمدتُ الله عليها لأربع: أن لم يجعلها في ديني ، وأن رزقني الصبر عليها ، وأن لم يجعلها أكبر منها ، وأن رزقني الاسترجاع عندها". وإذن فليس للمرض إلا الأخذ بالأسباب والتداوي والعلاج ، ثم الاحتساب والصبر والمصابرة! قال عمر ـ رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر» ، وقال علي «رضي الله عنه»: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس ، بار الجسد» ، ثم رفع صوته فقال: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له» ، وقال: «والصبر مطية لا تكبو». وقال الحسن: «الصبر كنز من كنوز الخير ، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده». وعن يونس بن محمد المكي قال: زرع رجل من أهل الطائف زرعًا فلما بلغ أصابته آفة فاحترق ، فدخلنا عليه لنسليه فيه فبكى ، وقال: وما عليه أبكي ، ولكني سمعت الله تعالى يقول: {كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ} ، فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة فذلك الذي أبكاني. وذكر سلمان الفارسي أن رجلاً بسط له في الدنيا ، فانتزع ما في يده فجعل يحمد الله عز وجل ويثني عليه ، حتى لم يكن له فراش إلا بوري ، فجعل يحمد الله ويثني عليه وبسط للآخر في الدنيا ، فقال لصاحب البوري ، أرأيتك أنت علام تحمد الله عز وجل؟ قال: أحمد الله على ما لو أعطيت به ما أعطي الخلق لم أعطهم إياه ، قال: وما ذاك؟ قال: أرأيت بصرك؟ أرأيت لسانك؟ أرأيت يدك؟ أرأيت رجلك؟!)

شـــــفاكُمُ الله مَوْلانـــــا ومَـــــوْلاكم ... وخفـــــفَ الله بلوانـــــا وبلـــــواكم

فصـــــدِّقوا دعـــــوتي: أجـــــرٌ وعافيـــــة ... وصـــابروا واصـــبروا تغفـــرْ خطايـــاكم

هـــــذا ابـــــتلاءٌ مـــــن الـــــرحمن خالقنـــا ... فأصـــلحوا كـــل مـــا تحـــوي نوايـــاكم

وعنـــــد رب الـــــورى بـــــلاءَه احتســـــبوا ... فكـــم مرضـــتم ، ورب النـــاس عافـــاكم!

وكـــم شـــكوتم مـــن الأوجـــاع أصـــعبها! ... وخـــالق النـــاس كـــم لبّـــى شـــكاواكم!

وكـــم تحمّلـــتمُ الأســـقامَ مـــا رحمـــتْ ... ضـــعفاً ، ورب الـــورى بالصـــبر قـــوّاكم!

وكـــم صـــبرتم علـــى مُـــرّ القضـــا زمنـــاً ... ومحّـــصَ الله – بالتصـــبير ـ تقـــواكم!

فـــيم التوجّـــع والمـــولى بكـــم رؤفٌ؟ ... هـــذا التوجـــعُ يُضـــنينا فرُحمـــاكم!

آهـــاتكم تجتنـــي أفـــراحَ عِيشـــتنا ... ونســـأل الله أن تـــزول شـــجواكم!

جهـــراً دعونـــا ، وفـــي الإســـرار فزعتنـــا ... لقائـــل: سِـــرّكم عنـــدي ونجـــواكم!

(الخاطرة الأولى)

(لا بأس يا أم عبد الله فلقد جعل الله المرض كفارة للذنوب والخطايا! فعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: {ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حَزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكّها إلا كفر الله بها من خطاياه}. [متفق عليه] واللفظ للبخاري. والنصَب: التعب. والوصَب: المرض. ومرض كعب فعاده رهط من أهل دمشق فقالوا: كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال: بخير ، جسد أخذ بذنبه ، إن شاء ربه عذبه ، وإن شاء رحمه ، وإن بعثه بعثه خلقًا جديدًا ، لا ذنب له. وعاد رجل من المهاجرين مريضًا فقال له: إن للمريض أربعًا: يرفع عنه القلم ، ويكتب له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته ، ويتبع المرض كل خطيئة من مفصل من مفاصله فيستخرجها ، فإن عاش عاش مغفورًا له ، وإن مات مات مغفورًا له ، فقال المريض: اللهم لا أزال مُضطجعًا. وعن أنس قال: كان لأبي طلحة ابن من أم سليم ، فمات ، فقالت لأهلها: لا تخبروا أبا طلحة بابنه ، حتى أكون أنا أحدثه ؛ قال: فجاء ، فقربت إليه عشاءه وشرابه ، فأكل وشرب ، قال: ثم تصنعت له ، أحسن ما كانت تصنع له قبل ذلك ؛ فلما شبع وروي وقع بها ؛ فلما عرفت أنه قد شبع وروى وقضى حاجته منها ؛ قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن أهل بيت أعاروا عاريتهم أهل بيت آخرين فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يحبسوا عاريتهم؟ قال: لا! قالت: فاحتسب إبنك! قال: فغضب ثم قال: تركتيني حتى تلطخت بما تلطخت به ، ثم تحدثيني بموت ابني؟ فانطلق إلى رسول الله – عليه السلام - فقال: يا نبي الله ، ألم تر إلى أم سليم ، صنعت كذا وكذا؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما» ، قال: فتلقيت تلك الليلة فحملت بعبد الله ابن أبي طلحة. حلية الأولياء. أقول لأم عبد الله: أزعجنا الخبر وندعو لكِ بالشفاء!)

يـــا عَـــزة الخيـــر عـــاتٍ ذلـــك النبـــأ ... والمُشـــتكى – لمليـــك النـــاس - واللجـــأ

ومـــذ ســـمعناه ، والقلـــوبُ لاعِجـــة ... وبـــالنفوس أســـىً يبـــدو ، ويختبـــئ!

وبـــالعيون دمـــوعٌ لا يُكفكِفهـــا ... تجلـــدٌ نتقـــي بـــه ، ونـــذّرئ!

وبـــالخواطر أحـــزانٌ تجنـــدلها ... والصـــبرُ - مـــن ثِقـــل الـــلأواء - يهتـــرئ

وعَزمَتـــي وهنـــتْ ، ولـــيس يَصـــقلها ... جـــدّي ، وقـــد غالهـــا الوَســـواسُ والصـــدأ

تجـــاذبتْني همـــومٌ لا حـــدودَ لهـــا ... يـــا ليـــت شِـــعري فهـــل تُطـــوى وتُجتـــزئ؟

إنـــا لمَـــا أنـــتِ فيـــه اليـــوم فـــي شـــجن ... عســـى ســـراباً وزيفـــاً ذلـــك النبـــأ

نهفـــو إلـــى خبـــر يُعيـــدُ فرحتنـــا ... فـــلا يزلزلنـــا طـــيشٌ ، ولا خطـــأ

(بلقـــيسُ) أنـــت ، وهـــذا البيـــت مملكـــة! ... وكـــم تحـــنّ إلـــى بلقيســـها (ســـبأ)!

شـــفا المليـــك لهـــذا البيـــت (عَزتـــه)! ... إنـــا - إليـــكَ إلـــهَ الخلـــق - نلتجـــئ

(الخاطرة الثانية)

(يا أم عبد الله المسألة مسألة ابتلاء واختبار ، وإذن فلا بد إذن من الصبر والتصبّر! قال عمر – رضي الله عنه -: «أفضل عيش أدركناه بالصبر ، ولو أن الصبر كان من الرجال لكان كريماً». وقال عمر بن عبد العزيز «رحمه الله»: «ما أنعم الله على عبد نعمة ، فانتزعها منه ، فعوّضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه». وقال علي بن الحسن: كان رجل قد ذهب نصفه الأسفل لم يبق منه إلا روحه في بعض جسده ، ضرير على سرير مثقوب ، فدخل عليه داخل فقال له: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: ملك الدنيا منقطع إلى الله عز وجل ، ما لي إليه من حاجة ، إلا أن يتوفاني على الإسلام. عن زهير الباني قال: مات ابن لمطرف بن عبد الله بن الشخير ، فخرج على الحي - قد رجل جُمّته (أي مشط شعره) ، ولبس حُلته - فقيل له: ما نرضى منك بهذا ، وقد مات ابنك ؛ فقال: أتأمروني أن أستكين للمصيبة؟ فوالله لو أن الدنيا وما فيها لي ، فأخذها الله مني ، ووعدني عليها شربة ماء غداً ، ما رأيتها لتلك الشربة أهلاً ؛ فكيف: بالصلوات ، والهدى ، والرحمة. حلية الأولياء (2/ 199). وعن يونس بن يزيد قال: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يوم تصيبة المصيبة ، مثله قبل أن تصيبه. حلية الأولياء (3/ 261 - 262). وعن سفيان الثوري قال: أتدرون ما تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ يقول: لا يعطي أحد ، إلا ما أعطيت ؛ ولا يقي أحد ، إلا ما وقيت. حلية الأولياء (7/ 140). وعن سفيان بن عيينة قال: قيل لبعض الحكماء: ما الصبر؟ قال: الذي يكون في الحال ، الذي إذا نزل به ما يكره: صبر ؛ وكان مثل حاله الأول: إذا لم يكن أصابه البلاء. حلية الأولياء (7/ 280). وهنا نتذكر عزة أم عبد الله صاحبة حلقات العلم والذكر!)

يـــا عَـــزة الخيـــر عـــز العِلـــمُ والأدبُ! والأنـــسُ عـــز ، وعـــز الســـعدُ والطـــربُ!

قـــد كنـــتِ فينـــا لهَـــدْي المصـــطفى ســـبباً وبـــالفِراق وهـــى الوصـــالُ والســـبب

فكـــم أقمـــتِ لنـــا للعلـــم مـــن حِلـــق تســـرّ طالبـــه ، حتـــى خبـــا الطلـــب!

وكـــم دعـــوتِ إلـــى الخيـــر الألـــى انصـــرفوا وجـــرّهم للشـــرور اللهـــو واللعـــب!

وســـورة الكهـــف فـــي الجُمْعـــات مـــا تُليَـــتْ أمـــا الأحاديـــث عنهـــا الكـــل قـــد رغبـــوا

وطالنـــــا الجهـــــلُ والتقصـــــيرُ أجمعُنـــــا أبـــئسْ بجمـــع - إلـــى الأهـــواء - ينقلـــب!

كنـــتِ الســـراجَ إذا مـــا خَيّمـــتْ ظلـــمٌ ولـــم تحُـــلْ بيننـــا ونـــورِكِ الحُجُـــب

كنـــتِ الأمـــانَ لنـــا فـــي شـــرّ مغتـــرب وبعـــدكِ ابتلـــعَ الجميـــعَ مغتـــرب

والأنـــسَ كنـــتِ إذا مـــا استوحشـــتْ همـــمٌ! ومُـــذ رحلـــتِ رأيـــتُ الجمـــعَ ينتحـــب

عســـاكِ أدركـــتِ مـــا نحيـــاه مـــن كُـــرَب! عســـى تُفارقنـــا الأنـــاتُ والكُـــرَب!

(الخاطرة الثالثة)

(عزى ابنُ السماك رجلاً فقال: إن المصيبة واحدة: إن جزع أهلها أو صبروا! والمصيبة بالأجر ، أعظم من المصيبة بالموت. حِلية الأولياء(8/ 209). وعن ميمون بن مهران قال: ما نال رجل من جسيم الخير ، نبي ، ولا غيره: إلا بالصبر. حِلية الأولياء(4/ 90). وعن ابن ذر - أبو ذر عمر بن ذر - قال: من أجمع على الصبر في الأمور ، فقد حوى الخير ؛ والتمس معاقل البر ، وكمال الأجر. حِلية الأولياء(5/ 111). وعن سفيان الثوري قال: ثلاثة من الصبر: لا تحدث بمصيبتك ، ولا بوجعك ، ولا تزك نفسك. حِلية الأولياء(6/ 389). وعن أبي سليمان الداراني قال: ثلاثة من أعلام الصبر: التباعد عن الخلطاء في الشدة ؛ والسكون إليه مع تجرع غصص البلية ؛ وإظهار الغنى مع حلول الفقر ، بساحة المعيشة. حِلية الأولياء (9/ 362). وعن عمر بن عبد العزيز قال: الرضا قليل ، والصبر مِعول المؤمن. حلية الأولياء (5/ 342). وعن صالح المِرّي قال: لو كان الصبر حلواً ، ما قال الله عز وجل لنبيه: اصبر ؛ ولكن قال له: اصبر فإن الصبر مُر. حلية الأولياء (6/ 171). وعن عبد الواحد بن زيد قال: من نوى الصبر على طاعة الله: صبره الله عليه وقواه لها ؛ ومن نوى الصبر عن معاصي الله: أعانه الله على ذلك ، وعصمه منها. حلية الأولياء (6/ 163). وعن سفيان الثوري قال: إنما الأجر على قدر الصبر. وعن سفيان بن عيينة قال: لم يعط العباد أفضل من الصبر ، به دخلوا الجنة. حلية الأولياء (7/ 305). وعن إبراهيم بن سعد قال: سمع علي بن الحسين ناعية في بيته وعنده جماعة ؛ فنهض إلى منزله ثم رجع إلى مجلسه فقيل له: أمن حدث كانت الناعية؟ قال: نعم ؛ فعزوه وتعجبوا من صبره. فقال: إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ونحمده فيما نكره. حلية الأولياء. وهنا قطعتنا أم عبد الله ، فانقطعت أخبارها عنا!)

يـــا عـــزة الخيـــر إنـــي لســـتُ أفتئـــتُ ... ولـــيس - فـــي كـــل مـــا نظمتـــه - نكـــتُ

فـــيم انقطاعُـــكِ عـــن وصـــل يُمَتعنـــا؟ ... فهـــل يســـرّكِ أحبـــابٌ إذا انكبتـــوا؟

أمـــا تفكـــرتِ فـــي أحـــوال (فاطمـــةٍ) ... يكـــادُ يقتلهـــا - فـــي الغربـــة - العنـــت؟

أمـــا تســـاءلتِ هـــل فـــي عيشـــها انتظمـــتْ؟ ... وهـــل - إلـــى كـــل مـــا نوصـــيه - تلتفـــت؟

أمـــا تســـاءلتِ عـــن أبنائـــكِ احتملـــوا ... مُـــرّ افتراقـــكِ؟ أم لطيفـــكِ التفتـــوا؟

أمـــا تســـاءلتِ هـــل نـــأوي لمصـــلحةٍ؟ ... أم نحـــن نحـــو الهـــوى والهـــزل ننفلـــت؟

أمـــا تســـاءلتِ مـــن يـــزورُ ضـــيعتنا ... ويحتفـــي بأنـــاس بـــالجوى كُبتـــوا؟

لـــم يـــأتِ آتٍ يُسَـــليهم ويُضـــحِكهم ... حتـــى تناسَـــوْا صُـــوى الكِـــرام إذ ســـكتوا

فـــي غربـــةٍ ســـلبتْ فحـــوى ســـعادتهم ... فعـــاينوا كُنههـــا ، لـــذاك قـــد بُهتـــوا

فعللـــيهم بوصـــل يَطربـــون لـــه ... ويُفحمـــون الـــذي عليـــكِ يفتئـــت

(الخاطرة الرابعة)

(وعن علي بن الحسين قال: إذا كان يوم القيامة ، ينادى مناد: أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس من الناس ، فيقال: على ما صبرتم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله ، وصبرنا عن معصية الله عز وجل ؛ فيقال: صدقتم ، أدخلوا الجنة. حلية الأولياء(3/ 138 - 139). ولقد نظر إبراهيم بن أدهم إلى رجل: قد أصيب بمال ، ومتاع ، ووقع الحريق في دكانه ؛ فاشتد جزعه ، حتى خولط في عقله ؛ فقال: يا عبد الله ، إن المال مال الله ، متعك به إذ شاء ، وأخذه منك إذ شاء ؛ فاصبر لأمره ، ولا تجزع ، فإن من تمام شكر الله على العافية: الصبر له على البلية ؛ ومن قدم: وجد ، ومن أخر: فقد ندم. حلية الأولياء(8/ 32 - 33). وعن وهب بن منبه قال: أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحوم الخنازير ، فلما أتى به ، استعظم الناس مكانه ، وساءهم أمره ؛ فقال له صاحب شرطة الملك: ائتني بجدي نذبحه ، مما يحل لك أكله ، فاعطنيه ، فإن الملك إذا دعا بلحم الخنزير ، أتيتك به ، فكله ؛ فذبح جدياً ، فأعطاه إياه ، ثم أتى به الملك ، فدعا له بلحم الخنزير ، فأتى صاحب الشرط باللحم الذي كان أعطاه إياه ـ وهو: لحم الجدي ـ فأمره الملك أن يأكله ، فأبى! فجعل صاحب الشرطة يغمز إليه غمزاً ، ويأمره بأكله ، ويريه: أنه اللحم الذي دفعه إليه ؛ فأبى أن يأكله ، فأمر الملك صاحب شرطته أن يقتله ، فلما ذهب به ؛ قال: ما منعك أن تأكل ، وهو اللحم الذي دفعت إلي؟ أظننت أني أتيتك بغيره؟ قال: قد علمت أنه هو ، ولكن: خفت أن يقتاس بي الناس ؛ فكل من أراده على أكل لحم الخنزير ، قال: قد أكله فلان ، فيقتاس بي ، فأكون فتنة لهم ؛ فقتل. حلية الأولياء(4/ 55 - 56). والقصد من هذا أنه لا بد من الفتنة والابتلاء! والحياة بعدك يا أم عبد الله ملل لا يطاق!)

يـــا عَـــزة الخيـــر غـــالى دربُـــكِ الوعِـــثُ ... ولـــم يعـــد بنـــوى الأحبـــاب يكتـــرثُ

والشـــوقُ أوقـــدَ ـ فـــي القلـــوب ـ جَذوتـــه ... والوجـــدُ أمســـى ـ مـــن الضـــرام ـ ينبعـــث

كـــلٌ يـــرى فيـــكِ آمـــالاً يتـــوقُ لهـــا ... ولـــو تحقـــق ـ مـــن مجموعهـــا ـ الثلـــث

وكـــم تعرقلنـــا الأحـــداث جاريـــة! ... وكـــل يـــوم لـــه ـ فـــي دارنـــا ـ حـــدث

يـــا ليـــت شـــعري إذا عينـــاكِ أبصـــرتا ... عيشـــاً يُصـــارعُه المَـــلال والعبـــث!

أيـــن الأمومـــة ـ بالتحنـــان ـ تغمرُنـــا ... وبيتنـــا دونهـــا كأنـــه الجَـــدث!

أيـــن الأمومـــة تُهـــدي الطفـــلَ فـــرحتهم ... إن زايلـــوا البيـــت ، أو فـــي أمّـــه مكثـــوا؟!

أيـــن الأمومـــة لـــم نشـــهد لهـــا أثـــراً؟ ... أيـــن الأمومـــة فيهـــا الخيـــرُ يبتعـــث؟

أيـــن الأمومـــة بالألطـــاف تشـــملنا ... تضـــمّ طِفـــلاً ـ إلـــى وئامهـــا ـ لهثـــوا؟

والنـــاسُ ـ مـــن حولنـــا ـ لا يأنســـون بنـــا ... هُـــمُ كالخبائـــث ، تســـعى حولهـــا خبُـــث!

(الخاطرة الخامسة)

(وعن إبراهيم بن متة السمرقندي قال: سألت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن عن أحمد بن حنبل ؛ قلت: هو إمام؟ قال: إي والله ، وكما يكون الإمام ؛ إن أحمد: أخذ بقلوب الناس ، إن أحمد: صبر على الفقر سبعين سنة. حلية الأولياء(9/ 176). ولما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وسهل بن عبد العزيز ، ومزاحم مولى عمر ـ في أيام متتابعة ـ دخل الربيع بن سبرة عليه ؛ وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ، فما رأيت أحداً ، أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة ؛ والله ، ما رأيت مثل ابنك إبناً ، ولا مثل أخيك أخاً ، ولا مثل مولاك مولى قط ؛ فطأطأ عمر رأسه ، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه ، قال: ثم رفع رأسه ، فقال: كيف قلت الآن يا ربيع؟ فأعدت عليه ما قلت أولاً ، قال: لا والذي قضى عليه ـ أو قال: عليهم ـ بالموت: ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن. حلية الأولياء (5/ 330). وعن محمد بن عمرو قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب ، قال: ما أنعم الله على عبد نعمة ، ثم انتزعها منه ، فعاضه مما انتزع منه الصبر ؛ إلا كان ما عاضه خيراً مما انتزع منه ؛ ثم قرأ هذه الآية: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}. حلية الأولياء (5/ 298). وعن أحمد بن محمد التستري قال: ذكروا: أنه مر عليه ـ يعني: أحمد بن حنبل ـ ثلاثة أيام ، ما كان طعم فيها ؛ فبعث إلى صديق له ، فاستقرض شيئاً من الدقيق ، فعرفوا في البيت شدة حاجته إلى الطعام ؛ فخبزوا بالعجلة ، فلما وضع بين يديه ؛ قال: كيف عملتم خبزتم بسرعة هذا ؛ فقيل له: كان التنور في دار صالح ابنه مسجرا ، وخبزنا بالعجلة ؛ فقال: ارفعوا ، ولم يأكل ، فأمر بسد بابه ، إلى دار صالح. حلية الأولياء (9/ 177). فاصبري يا أم عبد الله شفاك الله وعافاك!)

يـــا عَـــزة الخيـــر شـــهرٌ غِبتـــهِ حِجَـــجُ ... ودارنـــا حـــلّ فيهـــا التيـــهُ والـــدلجُ

وأهلهـــا ـ فـــي دروب الخيـــر ـ مـــا ارتحلـــوا ... وصـــابروا ، ريثمـــا يـــأتيهمُ الفـــرج

إن غِبـــتِ عنـــا ، ففـــي الوجـــدان صـــورتكم ... ونحـــن ـ بالســـيرة العصـــماء ـ نبـــتهج

فـــي كـــل ركـــن نـــرى ذِكـــراكِ ماثلـــة ... وللوصـــايا ـ بهـــا ـ عطـــرٌ لـــه أرج

نـــراكِ فـــي الثـــوب ، مـــا انفكـــتْ أســـاورُه ... وإن عـــلا فوقـــه التـــرابُ والـــرهج

نـــراكِ آمـــرة فينـــا ، وناهيـــة ... وليســـت الـــنفسُ ـ ممـــا قلـــتِ ـ تعـــتلج

وتســـألين أناســـاً عنـــدنا دخلـــوا ... وتســـألين الألـــى ـ مـــن بيتنـــا ـ خرجـــوا

ولا تمـــرّ أمـــورٌ دون غربلـــةٍ ... وإن تمحّـــك بعـــضُ القـــوم ، وانزعجـــوا

نـــراكِ ـ فـــي مطـــبخ ـ تاهـــتْ بشاشـــتُه ... ولـــم يعـــد ـ فـــي مســـمّى الطـــبخ ـ يـــندرج

تنـــاثرتْ فيـــه أطبـــاق وأطعمـــة ... طغـــى عليهـــا ـ بـــه ـ الفســـادُ والخمَـــج

(الخاطرة السادسة)

(قال بشر الحافي: لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، إلا من يصبر على الأذى. حلية الأولياء (8/ 337). ووعنه قال: النظر إلى الأحمق سخنة عين ، والنظر إلى البخيل يُقسي القلب ، ومن لم يحتمل الغم والأذى ، لم يقدر أن يدخل فيما يحب. حلية الأولياء (8/ 350). وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: تعوّدوا الصبر ، فأوشك أن ينزل بكم البلاء ؛ أما أنه لا يصيبنكم أشد مما أصابنا نحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. حلية الأولياء (1/ 283). ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ناصحاً للأمة: (قاربوا وسددوا) ، ولما نزل قول الله: (مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) ، شق ذلك على المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قاربوا وسددوا ، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها). ومعنى النكبة مثل العثرة التي يعثرها برجله ، فربما جرحت أصبعه ونحو ذلك ، حتى هذه فيها كفارة من الذنوب والخطايا ، والشوكة فيها كفارة كذلك ، والحُمى فيها كفارة أيضاً. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا بها؟ قال: (كفارات) ، قال أبي بن كعب رضي الله عنه: وإن قلّت؟ قال: (وإن شوكة فما فوقها). قال: فدعا أُبي على نفسه أن لا يفارقه الوعك حتى يموت ، شريطة أن لا يشغله عن حج ولا عن عمرة ولا جهاد في سبيل الله ، ولا صلاة مكتوبة في جماعة. واستجاب الله دعاءه! فما مسه إنسان إلا وجد حرّه حتى مات. وهذا الحديث حسنه الدمياطي وابن حجر وغيرهما رحمهم الله تعالى. وإننا نحسن الظن بالله أن تعود أم عبد الله معافاة لا تشكو ألماً ولا وجعاً ، وأن يكون ما أصابها كفارة لها من الذنوب والخطايا!)

يـــا عـــزة الخيـــر بُشـــرى بعـــدها فـــرَحُ ... أنْ لا يصـــــيبك مكـــــروهٌ ولا تـــــرَحُ

وأن نـــــراكِ كمثـــــل الشـــــمس ســـــاطعة! ... أمّـــــا أشـــــعتها فاليُســـــرُ والمـــــنح

وأن نـــــراكِ بـــــلا سُـــــقم ولا مـــــرض ... فـــــي عِيشـــــةٍ ملؤهـــــا الهنـــــاءُ والمَـــــرح

وأن نـــــراكِ وقـــــد جـــــاوزتِ مرحلـــــة ... مـــــن الرزايـــــا ، فنســـــتقوي وننفـــــتح

كـــم طاردتْـــك هنـــا إذ أصـــبحتْ شـــبحاً! ... واليـــومَ زال العنـــا لمـــا قضـــى الشـــبح

وأن نـــــراكِ - علـــــى الشـــــفاه - بســـــمتها ... والثغـــــر تغمـــــرُه النكـــــات والمِـــــزح

وأن نـــــراكِ بوجـــــهٍ ناضـــــر غـــــردٍ ... وصـــــدر مؤمنـــــةٍ بـــــاليُمن منشـــــرح

وأن نـــــراكِ كمثـــــل الصـــــبح مســـــفرة ... نمســـي علـــى نـــوره الزاهـــي ، ونصـــطبح

وأن نـــــراكِ بـــــأثواب مزركشـــــةٍ ... وفوقهـــا حُجُـــبٌ مـــن فوقهـــا وُشُـــح!

وأن نـــــراكِ هنـــــا بخيـــــر عافيـــــةٍ ... وعِيشـــــةٍ يعتلـــــي ســـــفينها الفـــــرَح

(الخاطرة السابعة)

(قال ابن كثير رحمه الله: (إن الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب محتمات ، فلا بد منها!) ومن ابتلاه الله بالبأساء والضراء فقدر عليه رزقه مثلاً فليس هذا إهانة له ، ليس تضييق الرزق ، وفقدان الوظيفة ، ونزول المرتب ، وخسارة التجارة ، إهانة من الله للعبد ، وإنما هو ابتلاء وامتحان ، فمن أطاع الله في ذلك كان سعيداً ، ومن عصاه كان شقياً. وكذلك الأمراض والأوجاع والأسقام كلها حتمية الحدوث ولو كان فيها استثناء لكان أولى الناس بها أنبياء الله ورسله! قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع ، مع قصور أذهاننا ، ونقص عقولنا ومعارفنا ، وتلاشيها وتلاشي علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس. قال عبد الملك بن أبجر رحمه الله: ما من الناس إلا مبتلىً بعافية لينظر كيف شكره أو بلية لينظر كيف صبره. وكلنا يذكر دعاء أبي بن كعب رضي الله عنه على نفسه (وهو اجتهاد صحابي على أي حال) ، والمأمور به شرعاً أن لا يدعو الإنسان على نفسه بالبلاء، ومن فقهه أن قال: لا يمنعني ذلك عن حج ولا عمرة ، ولا جهاد ، ولا صلاة جماعة ، فهو يريد أجر المرض ولا يريد أن يقطعه ذلك عن هذه الطاعات ، وعلى أية حال نحن أمرنا أن نسأل الله العافية ، ولم يشرع لنا أن نأمر الله بأن يوقع بنا البلاء والمرض ، وهذا فعله صلى الله عليه وسلم. فلقد قال مطرِّف بن عبد الله رحمه الله: لأن أعافى فأشكر أحب إليَّ من أن أبتلى فأصبر. والنبي عليه السلام قال: (سلوا الله العافية). والشاهد من الحديث السابق أن الأمراض كفارات. وقال قيس بن عباد: ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا. فطهورٌ يا عزة!)

يـــا عـــزة الخيـــر أبنـــائي هنـــا اصـــطرخوا ... أنـــــي جهـــرتُ بقـــول شـــابه الوســـخ

فقلـــتُ: كـــلا ، فـــإن القـــول متـــزنٌ ... ونصـــــه بكـــــلام الله مرتســـــخ

ومـــا تجـــاوزتُ فـــي حـــق التـــي رحلـــتْ ... وقبـــلَ كَـــوْني حلـــيلاً ، إننـــي لأخ

فعنفـــــوني بألفـــــاظٍ تفـــــيضُ جفـــــا ... وفـــي ســـعير خِلافـــاتي لقـــد نفخـــوا

كـــأنني لســـتُ - فـــي هـــذا الجـــدال - أبـــاً ... إذ بعضـــهم هزئـــوا ، وبعضـــهم صـــرخوا

مـــاذا فعلـــتُ لكـــي يُـــزروا بمَغضـــبتي؟ ... سُـــقيا لأبنـــاءَ - مِـــن أبُـــوّتي - انســـلخوا!

عليـــكِ أعتـــبُ أنْ أهملـــتِ نصـــحَهمُ ... إن الجميـــع إذا ناصـــحتِهم رضـــخوا

قـــولي: أبـــوكم لـــه - شـــرعاً - مكانتـــه ... ولا يجـــوز بـــأن تلـــووا ، وتصـــطرخوا

وعقـــدُ إمرتـــه لا شـــيء يفســـخه ... مَـــن هـــؤلاء الألـــى - لعقـــده – فســـخوا؟

مـــازال يـــدأبُ - فـــي الـــدنيا - لـــرفعتكم ... أنـــتم شـــبابٌ ، وهـــذا جيلـــه شُـــيُخ!

(الخاطرة الثامنة)

(قال عبد الرحمن بن سعيد عن أبيه: كنتُ مع سلمان رضي الله عنه وعاد مريضاً ، فلما دخل عليه قال: أبشر فإن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتباً ، وإنّ مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عُقل ولم أرسِل. أخرجه البخاري في الأدب المفرد. والمنجّد يرى أن معنى أن يكون المرض مستعتباً للمؤمن أي: أن يكون سبباً في محاسبة نفسه ورجوعه عن الإساءة ، ويقظته من غفلته بخلاف الفاجر والكافر ، فإن مرضه لا ينفعه ، وهو لا يزال مُصِرّاً على المعصية ، ولذلك هو كالبعير الذي أمسكه وربطه أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم أمسك ولم أرسل ، الكافر إذا مرض لا يدري لماذا مرض وما هي الحكمة من المرض ولا يحتسب أجراً ولا يرجع إلى الله. قال ابن القيم رحمه الله: إن انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فيه حياة ، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومَشاقها ، ولولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكِبر والعجب والفرعنة وقسوة القلوب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً ، فمن رحمة أرحم الراحمين ، أن يتفقد عبده في بعض الأحيان بأنواع من الوصايا تكون حمية له من هذه الأمراض الخطيرة ، وحفظاً لصحة عبوديته واستفراغاً لهذه الأدواء الفاسدة الرديئة ، فسبحان من يرحم ببلائه ، ويبتلي بنعمائه. قال يزيد بن ميسرة: إن العبد ليمرض وما له عند الله من عمل خير ، فيذكره الله سبحانه بعض ما سلف من الخطايا ، فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدمع من خشية الله ، فيبعثه الله إن يبعثه مطهراً ، أو يقبضه إن قبضه مطهراً ، ولذلك فإن هذه الأمراض في الحقيقة نعمة من الله. فعسى الله يا أم عبد الله أن تخرجي منها وليس عليك خطيئة ولا ذنب!)

يـــا عـــزة الخيـــر آذانـــي الألـــى انتقـــدوا ... وبالنقـــائض والمثالـــب انفـــردوا

يقـــول قـــائلهم إذ ســـاق أســـئلة ... قوامُهـــا الحقـــدُ والتشـــويهُ والحســـد

يقـــول: هـــل تـــدّعي جهـــراً محبتهـــا؟ ... أجـــبْ ، ويســـمعك المهـــيمنُ الصـــمد!

وهـــل تُقـــدّر مجهـــوداً تقـــومُ بـــه؟ ... كـــي يَســـعد الـــزوجُ فـــي الحيـــاة والولـــد

وهـــل تريـــدُ لهـــا دوامَ عِشـــرتها ... زوجـــاً تُحبـــك يُقـــري عيشَـــها الرغـــد؟

أم أنـــت تكرههـــا ، ولا تُكِـــنّ لهـــا ... حبـــاً بـــه تـــذهب الأوجـــاعُ والعُقـــد؟

لا غـــرْوَ قلهـــا لنـــا ، بـــلا مواربـــةٍ ... كـــي يســـتريح الألـــى لامـــوك ، وانتقـــدوا

إن شـــئت ألجمـــتهم بقـــول: أكرههـــا ... إن كنـــت تأمـــل أن ينـــأوْا ، ويبتعـــدوا

قلهـــا ، وأجـــرُك موفـــورٌ ومـــدّخرٌ ... إن الشـــهيد – عليـــك ـ الواحـــدُ الأحـــد

فقلـــتُ: فلتســـألوها عـــن علاقتنـــا ... إذ لـــيس ينقصـــها عقـــلٌ ، ولا رَشَـــد!

(الخاطرة التاسعة)

(إن ابتلاء الله للعبد المؤمن وللأمة المؤمنة صارف له ولها عن الزهو والخيلاء والغرور! قال ابن القيم رحمه الله: (لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً أو آجلاً! وبالمرض تتم معرفة العبد ذله وحاجته وفقره وافتقاره إلى الله تعالى ، فأهل السماوات والأرض محتاجون إليه سبحانه ، فهم الفقراء إليه ، وهو الغني عنهم جميعاً سبحانه ، ولولا أن سلّط على العبد هذه الأمراض وتلك البلايا لنسي نفسه ونسي خالقه! قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله). ومن هنا تأتي صحة الأثر: رب طاعة أورثت كِبراً ورب معصية أورثت ذلاً وانكساراً! ونحن نقول: رب نعمة وصحة ونعيم وسعة أورثت عُجبا وزهواً ، ورُبّ نقمة ومرض وحرمان وضيق أورث انكساراً لله وتذللاً له سبحانه! وعن أبي مسعود قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: {ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطّ الله به من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها}. [متفق عليه]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: {ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها}. [متفق عليه]. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: لما نزلت: (مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {قاربوا وسددوا ، ففي ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكَبُها ، أو الشوكة يشاكها}. [رواه مسلم]. وأسأل هل هنتُ عليك لهذه القطيعة ، وهنتُ على أبنائك لهذه المؤاخذة؟! والأصل هو الثبات على الحق مهما حيكتْ المؤامرات!)

يـــا عـــزة الخيـــر أيـــن النصـــرُ والنقـــذ ... مـــن جوقـــةٍ قلبـــوا القـــرار ، واتخـــذوا؟

عليـــكِ هنـــتُ ، وهانـــتْ سُـــمعتي تبعـــاً ... وصـــرتُ نهبـــاً لمـــن عـــابوا ومـــن نبـــذوا!

لـــم يُحســـنوا الظـــن فـــي الأقـــوال بُحـــتُ بهـــا ... بـــل أوّلـــوا القـــول والأســـيافَ قـــد شـــحذوا

شـــتان بينـــي وبـــين الســـارقين غـــدي! ... لا يســـتوي الليـــث فـــي الميـــزان والجـــرذ!

قـــولي الحقيقـــة ، لا تخشـــي تطـــاوُلهم ... ولا تخـــافي مـــن الحِـــذر الـــذي أخـــذوا

إنـــي أحبـــكِ ، والأحـــوالُ تشـــهد لـــي ... مهمـــا تطـــاولَ مَـــن مشـــاعري جبـــذوا

إنـــي أحبـــكِ ، والماضـــي يُســـجلها ... حقيقـــة لـــم تعـــد تُطـــوَى وتُنتبـــذ!

إنـــي أحبـــكِ ، مهمـــا قِيـــل يكرههـــا ... وإن دهـــاني الشـــقا والخـــذلُ والعَـــوَذ

إنـــي أحبـــكِ ، مهمـــا شـــكّكتْ فِئـــة ... ممـــا افترتْـــه ســـيأتي الفـــوز والنقـــد

وســـائلي كـــل مـــن أنجبـــتِ مـــن ولـــدٍ ... لقـــد يخصّـــك – بالحقيقـــة - الفلـــذ!

(الخاطرة العاشرة)

(عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه - أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - دخل على أم السائب فقال: {مالك يا أم السائب تزفزفين؟} ، قالت: الحُمّى لا بارك الله فيها. فقال: {لا تسبّي الحُمى ، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكِير خبث الحديد}. [مسلم]. ومعنى تزفزفين: ترتعدين. وعن أم العلاء رضي الله عنها قالت: عادني رسول الله وأنا مريضة فقال: {أبشري يا أم العلاء ، فإن مرض المسلم يُذهب الله به الخطايا ، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة}. [أبو داود وحسنه المنذري]. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: {ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة} [الترمذي وقال:حسن صحيح]. وعن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله عليه وسلم: {ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة} [الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: {ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ، ومحيت عنه بها خطيئة}. [مسلم]. وعن أبي سعيد – رضي الله عنه - أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال: {صداع المؤمن ، أو شوكة يشاكها ، أو شيء يؤذيه ، يرفعه الله بها يوم القيامة درجة ، ويكفر عنه ذنوبه} [رواه ابن أبي الدنيا ورواته ثقات]. وقال النبي عليه السلام: (من يرد الله به خيرا يصب منه). رواه البخاري. والحقيقة أنني أحببت في أم عبد الله خصائص وشيماً وردت في هذه الخاطرة الشعرية ولا أكرر! وميزة لم ترد هي الصبر على الشدائد والمحن والآلام! وأشهد الله أنها أصبر مني وأقوى! فأرجو الاحتساب!)

يـــا عـــزة الخيـــر أهـــل العـــذل قـــد مكـــروا ... وأنـــتِ أعلـــمُ بالكيـــد الـــذي نـــذروا

فـــــآذريني علـــــى إخمـــــاد فتنـــــتهم ... فـــلا يكـــون الـــذي عليـــه كـــم ســـهروا!

ويشـــــهدُ الله أنـــــي فـــــي محبـــــتكم ... دومـــاً أضـــحّي ، أنـــا إليـــكِ مفتقـــر!

أحـــبّ فيـــكِ التزامـــاً صـــادقاً وتُقـــىً ... ودمـــعَ عـــين همـــى يـــراه مقتـــدر!

أحـــــبّ فيـــــكِ رداءً ســـــابغاً تفِـــــلاً ... مـــن فوقـــه وُضـــعتْ وفـــق الهُـــدى خُمُـــر!

أحـــــبّ فيـــــك خشـــــوعاً لا يُضـــــارعُه ... خشـــوعُ قـــوم بمـــا هـــم فرّطـــوا اعتبـــروا

أحـــــبّ فيـــــك قناعـــــاتٍ يُـــــدعّمُها ... نـــورٌ مـــن الـــوحي فـــي طيّاتـــه العِبَـــر

أحـــبّ فيـــكِ ذكـــاءً لـــيس ينقصـــه ... فراســـة لـــيس تُبقـــي الحـــدسَ ، أو تـــذر

أحـــبّ فيـــكِ عفـــافَ الـــنفس تصـــحبه ... شـــرافة قـــد قلاهـــا اللـــؤمُ والـــدّبَر!

أحـــبّ فيـــكِ تـــدابيرَ الأمـــور إذا ... مـــا احلولكـــتْ ظلـــمٌ ، أو داهـــم الخطـــر!

(الخاطرة الحادية عشرة)

(قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط). رواه الترمذي. وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله يقول: (إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده أو ماله أو في ولده ، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل). رواه أحمد وأبو داود وأبو يَعلى والطبراني. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). رواه مسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الرياح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد). رواه ومسلم. الأرز هي شجرة الصنوبر وقيل شجرة الصنوبر الذكر خاصة وقيل شجرة العرعر. وعن عطاء بن أبي رباح – رضي الله عنه - قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء! أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع وإني أتكشف ، فادع الله تعالى لي! قال: إن شئت صبرتِ ولك الجنة ، وإن شئتِ دعوتُ الله تعالى أن يعافيك! فقالت: أصبر! فقالت: إني أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها). رواه البخاري ومسلم. وأذكّر أم عبد الله بأيام شعري الخوالي! وقد كانت أول من يسمع لأي قصيدة أكتبها! وتدلي بدلوها في النقد والتعديل والحذف والإضافة! لكنها هذه الأيام بل ومنذ فترة ليست بالقصيرة لا تأخذ أمر الشعر على الجادة! فهل زحمة حياة أو انشغال بمرض أو غربة أو سفر! على كل حال لم يكن شيء من ذلك صارفي عن الكتابة والتأليف ، فلم انشغلت هي عن القراءة والنقد؟)

يـــا عـــزة الخيـــر عـــز الشـــعرُ والرجـــز ... ونـــــازعتْني ذكـــــائي الآهُ واللغـــــز

وأنـــتِ أغلـــى مـــن القـــريض أنظِمُـــه ... وإن أكـــن فـــي بُعـــيض الوقـــت أرتجـــز

أنـــتِ الحيـــاة ، وإن أزمعـــتِ راحلـــة ... والعـــيشُ يســـقم إن أودى بـــه العلـــز

والشـــعرُ أنـــتِ بمـــا يحويـــه مـــن صـــور ... فـــإن عييـــتِ فمـــاذا تحمـــل الصـــور؟!

هـــل تـــذكرين عقـــود الشـــعر أربعـــة ... وعبرهـــا كنـــتُ فـــي رؤيـــاكِ أرتجـــز!

أصـــغِي إلـــى نقـــدكِ الـــدقيق فـــي شـــغفٍ ... فهـــذه فـــرَصٌ تُســـبى وتُنتهـــز

فكـــم أشـــرتِ بـــرأي طـــاب رونقـــه! ... وصـــائبُ الـــرأي يُســـبى ثـــم يُكتنـــز!

وبـــات عنـــدكِ إلمـــامٌ وتجربـــة ... شـــأن العمـــاليق - فـــي أشـــعارنا - بـــرزوا

ومـــا اشـــتكيتِ طويـــل الشـــعر ، أو هزجـــاً ... ولا اشـــتكى منـــكِ كاملـــه ولا الرجـــز!

ومـــا مللـــتِ مـــن الأشـــعار أنشـــدها ... ولـــم يَمَلّـــكِ صَـــدرٌ فيـــه أو عَجُـــز!

(الخاطرة الثانية عشرة)

(عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت: (يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً. قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم. قلت: ذلك أن لك أجرين. قال: أجل ، ذلك كذلك ، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها). رواه البخاري ومسلم. الوعك: مغث الحُمى وقيل الحمى. وعن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال: (اتقي الله واصبري. فقالت: إليك عني ، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم! فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم تجد عنده بوّابين فقالت: لم أعرفك. فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى). رواه البخاري ومسلم. وعن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما ، أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده ، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: ما يكن من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من الصبر). رواه البخاري ومسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فقال: انظروا ما يقول لعواده! فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول: لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفر عنه سيئاته). رواه مالك وابن أبي الدنيا. فلا تقولي يا أم عبد الله لعُوّادك إلا كل خير! لأنك إن فعلت غير ذلك تكونين قد شكوت الرحيم الذي يملك شفاءك ، إلى الذي لا يرحم ولا يملك شفاءك! والحقيقة أن شعري حزين هذه الأيام لفراقك ومرضك! أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ويعافيك ويباركك ويردك! وتعودين إلى حلقات العلم والذكر والشعر!)

يـــا عـــزة الخيـــر شـــعري اليـــومَ مبتـــئسُ ... إذ جُـل مـا قلـتُ فـي القِرطـاس محتـبسُ

وأنـــتِ أهملـــتِ مـــا أنشـــدتُ عامـــدة ... فصـــرتُ نقـــاديَ الأفـــذاذ ألـــتمس

إنـــي لأســـألُ مـــن تُصـــغي لمســـألتي ... أراكِ أنســـيته ، مثـــل الـــذين نســـوا!

أيـــن انتقـــادُكِ للأشـــعار أكتبهـــا؟ ... وأيـــن عقـــلٌ حصـــيفٌ نابـــةٌ مَـــرِس؟

أيـــن اصـــطفاؤكِ للأبيـــات فـــي مـــلأ ... تُلقـــى فتُطـــربُ مـــن يهـــوى ويـــأتنس؟

لـــذا وعيـــتِ مـــن الأشـــعار أعـــذبها ... ولـــم يكـــن جَرْسُـــها عليـــكِ يلتـــبس

وكنـــتِ باهيـــتِ بالأشـــعار مَـــن جهلـــوا ... قـــدْري ، وقلـــتِ قصـــيدُ زوجـــيَ القـــبس!

وكنـــتِ عونـــاً بمـــا تُبـــدين مـــن زبَـــدٍ ... فـــي ظِلهـــا تُبتنـــى فـــي شِـــعريَ الأســـس

وكنـــتِ ناصـــحة تُزجـــي نصـــيحتها ... فبـــورك النصـــحُ والإرشـــادُ والـــنفس!

أنـــا المَـــدينُ بأبيـــاتٍ بأكملهـــا ... ولا أراهـــا مـــدى الأيـــام تنـــدرس!

(الخاطرة الثالثة عشرة)

(قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض). رواه الترمذي وابن أبي الدنيا. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثلُ ما كان يعمل مقيماً صحيحاً). رواه البخاري. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني! قال: يارب كيف أعودُك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟) رواه مسلم. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون! اللهم أجُرْني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيراً منها. قالت: فلما توفيَ أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأخلف الله لي خيراً منه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم). رواه مسلم. إن الدنيا دار بلاء وأمراض ، وهيَ على كل حال ظل زائل ومتاع مُنتهٍ! وما من إنسان في هذه الدنيا إلا ولا بد أن يواجه فيها مرضاً وعافية ، وسروراً وغماً ، وفرحاً وترحاً ، وسعداً وحزناً ، وسراء وضراء ، ونسأل فنقول: كل هذا من الابتلاء بالخير والشر لماذا؟ والجواب قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) ، وقوله: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) ، وقوله: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً). أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يبدلك من مرضك صحة وعافية ، ومن قلبك قلباً صحيحا معافىً ومن شراييك شرايين أخرى معافاة ومن دمك دماً صحيحاً معافىً ، ومن نفسيتك القلقة المطربة نفسية متفائلة راضية بقضاء الله وقدره! فلتسعدي بغفران الذنوب! وليسعد عُوّادك بسبعين ألف ملك يستغفرون لهم!)

يـــا عـــزة الخيـــر أبنـــائي هنـــا دُهشـــوا ... لمّـــا جهـــرتُ بحبـــي انتـــابهم دهـــشُ

صـــارحتهم إنمـــا حبـــي لهـــا قـــدرٌ ... مـــن المليـــك بـــه الفـــؤادُ ينـــتعش

والله يعلـــمُ قلبـــي كـــم يُكِـــنّ لهـــا ... مـــن الـــوداد صـــفا ، فمـــا بـــه غـــبش!

لكنمـــا سُـــنة الخـــلاف باقيـــة ... ونحـــن دومـــاً علـــى الآراء نحـــتمش

نرغـــي ونزبـــد إن نِيلـــتْ شـــريعتنا ... وقـــد يـــؤجّجُ نـــارَ الفتنـــة الـــوبش

كـــم مـــن رعـــاع جَنَـــوْا علـــى علاقتنـــا ... وأشـــعلوا بيننـــا الخـــلافَ ، واحترشـــوا!

مـــا بـــين قـــوم علـــى تـــدميرنا اتفقـــوا ... وبعـــد نقمـــتهم قبورَنـــا نبشـــوا

وآخـــرين علـــى العـــدوان قـــد جُبلـــوا ... يـــا رب إن شِـــيك أغلـــبهم فـــلا انتقشـــوا

تعمّـــدوا أن يخطـــوا درب خيبتنـــا ... وعِرضـــنا انتهكـــوا ، ولحمنـــا نهشـــوا

حـــاكوا الدســـائسَ فـــي سِـــر وفـــي عَلَـــن ... وإفكُهـــم رغـــم أنـــفِ الكـــل مُنـــتفش!

(الخاطرة الرابعة عشرة)

(إن كثيراً من الناس قد يواجه المرض والسقم ، ولكنه ينسى الصبر والاصطبار عليه ، وينسى ما في المرض والبلايا من فوائد جمَّة في الدنيا والأخرى. ذلك أن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا وفيه نعمة ، ولولا أن الله خلق العذاب والألم لما عرف المتنعمون والمترفون قدر نعمة الله عليهم. ومن الترح يولد الفرح ، ومن الضيق يولد الفرج ، ومن الهم والغم يولد السرور والحبور ، ولولا الليل لما عُرف قدر النهار ، ولولا المرض لما عُرف قدر الصحة والعافية ، وأهل الجنة يفرحون ويزداد فرحهم عندما يتفكرون في آلام أهل النار ، بل إن من نعيم الجنة رؤية أهل النار وما هم فيه من عذاب. وحوار أهل الجنة وأهل النار مسطور في سورة الأعراف لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً! والمرض كما يصفه أستاذنا أمير بن محمد المدري فيه فوائد كثيرة منها: أولاً: المرض تهذيب للنفوس ودربة لها وتصفية من الشر الذي استقر فيها جرّاء الإقبال على الدنيا والتعاطي معها! قال الله تعالى: (وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير). فإذا أصيب العبد فلا يقل من أين هذا؟ ولا من أين أتى؟ فما أُصيب إلا بذنبٍ (والمعنى هنا إلا بذنب ارتكبه فكلنا خطايا ، أو لرفع درجة وكف خطيئة)! فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما يصيب المؤمن من وصبٍ ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكّها إلا كفر الله بها من خطاياه). متفق عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: (ما اختلج عِرقٌ ولا عين إلا بذنب ، وما يدفع الله عنه أكثر). والاختلاج هو الحركة والاضطراب ، وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خيرٌ له من عقوبة الآخرة حتى تكفر عنه ذنوبه. وأناشد أم عبد الله أن تجتهد في الصبر والتصبر والاحتساب! وذلك لنوال الأجر الجزيل عند الله! ولتوقن أن الله أراد بها الخير! (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (والله يريد أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً) ولتحذر من أهل الدنيا وعبيدها!)

يـــا عـــزة الخيـــر جـــافي كـــل مـــن حرصـــوا ... علـــى الخلافـــات تـــأتي بعـــدها الغصـــصُ

واســـــتقبلي أمـــــركِ الـــــدنيا ســـــتُهلكُنا ... فـــاز الألـــى مـــن حظـــوظ الـــنفس قـــد خلصـــوا

أمـــا نظـــرتِ لهـــا تُعلـــي الألـــى سَـــفلوا ... وآخـــرين - علـــى أعقـــابهم - نكصـــوا

أمـــا تفرّســـتِ فـــي قـــوم بهـــا افتتنـــوا ... وكلمـــا عـــاينوا فريســـة ، قنصـــوا

لـــــذا اســـــتكانوا لـــــدنياهم وزخرفهـــــا ... ولـــم يُصِـــبهم بهـــا ضِـــيقٌ ولا نغـــص!

ولســـتِ مـــنهم ، فـــإن الحـــرص مُهلكهـــم ... والزهـــدُ طـــابعُ مـــن علـــى الهُـــدى حرصـــوا

أعيـــذكِ اليـــوم مـــن دنيـــا لنـــا قلبـــتْ ... ظهـــر المِجَـــنّ ، فأضـــحى الحـــق يختـــبص

فـــلا تبـــوحي لنـــا برخصـــةٍ وهنـــتْ ... خـــذي العـــزائمَ ، مـــاذا تنفـــعُ الـــرخص؟!

وخففـــي اللـــومَ ، إن الـــنفس تمقتُـــه ... إنْ لـــم تحـــنْ لـــدفاع الشـــبهة الفـــرَص

ومَـــن علمـــتِ بـــلا وزر ومعصـــيةٍ ... وكـــل عبـــدٍ لـــه - مـــن الخَطـــا - حِصَـــص

(الخاطرة الخامسة عشرة)

(عن أنس – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبد الخير عجّل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة). رواه الترمذي وقال حسن صحيح. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يصيبه أذىً من مرض فما سواه إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها). رواه البخاري. ومن الناس من له ذنوب وليس له ما يكفرها فيبتليه الله بالحزن والمرض لتصفيته وتنقيته من الذنوب إن صبر واحتسب. فعن عائشة أن رسول الله طرقه وجعٌ فجعل يشتكي ويتقلب على فراشه! فقالت له عائشة: لو صَنع هذا بعضنا لوجدت عليه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الصالحين يُشدّد عليهم ، وإنه لا يصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حُطت عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة). وثانياً: من فوائد المرض أنه يعقبه لذة وسرور في الآخرة. فإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة والنعيم لا يدرك بالنعيم وكما قال صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر). وإن الإبتلاءات سُنة ربانية اقتضتها حكمة الله سبحانه في هذه الدار ، لتكون داراً للامتحان في الشهوات والفقر والمرض والخوف والنقص في الأموال والأنفس والثمرات ، كما يكون الابتلاء بكثرة الأموال والأولاد والصحة قال تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنةً وإلينا ترجعون). ومن جملة الابتلاءات: الأمراض حيث يبتلي الله بها من شاء من عباده. وإذا نزل بالعبد مرض أو مصيبة فحمد الله واسترجع وصبر ، إلا أعطاه الله من الأجور ما لا يعلم قال تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب). وإذن فكل الأعمال قد تجد لها أجراً معيناً إلا الصبر لعظمته. ولتوقني يا أم عبد الله أنك قد تزوجت من زوج مبتلى محتسب صابر! ابتلينا في الدار فاغتربنا ، وابتلينا في النفس فصبرنا! وابتلينا في الأهل فصبرنا ، وابتلينا في المال والصحب والأصدقاء فصبرنا! فاصبري!)

يـــا عـــزة الخيـــر بعـــضُ العِتـــرة امتعضـــوا ... منـــي ، وعهـــدي كمـــا تـــرين قـــد نقضـــوا

ولـــم أقصّـــرْ ، ولكـــنْ ضِـــيق ذات يـــدي ... وحســـنُ ظنـــي الـــذي كـــم عشـــتُ أفتـــرض

أوهـــى قـــوايَ فلـــم أهنـــأ بمقربـــةٍ ... لمّـــا أسُـــدّ لهـــا مـــا كنـــتُ أقتـــرض

أنـــا الـــذي كنـــتُ أجزلـــتُ العطـــاء لهـــا ... وكلمـــا طلبـــتْ مـــا كنـــتُ أعتـــرض

وكنـــتُ رُوجعـــتُ فـــي بـــذلي ومكرُمتـــي ... فعِبـــتُ مـــن راجعـــوا وعبـــتُ مـــن رفضـــوا

وعشـــت أخلِـــصُ ، لـــم أبخـــلْ بعارفـــةٍ ... لله بـــذلي ، فـــلا دنيـــا ولا غـــرض

ثـــم اســـتدار لـــيَ الزمـــانُ ، فانحســـرتْ ... يـــدُ العطـــاء ، وجـــا دورُ الألـــى قبضـــوا

فعـــاقبوني علـــى جـــودي ، ومـــا رحمـــوا ... ضـــعفي ، ومـــالهمُ علـــيّ مـــا عرضـــوا

وعـــايروني بمـــا كنـــتُ ابتليـــتُ بـــه ... فقلـــتُ: كُفـــوا عـــن التعييـــر ، فامتعضـــوا

بـــئس القرابـــة لا أخـــلاق تحكمُهـــا! ... وفـــي سِـــواها مِـــن الأباعـــد العِـــوَض

(الخاطرة السادسة عشرة)

(إن المصائب والآلام ملازمة للبشر ولا بد لهم منها لتحقيق العبودية لله قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ). وقال بعضهم: لولا حوادث الأيام لم يعرف صبر الكرام ولا جزع اللئام! وثالثاً: من فوائد المرض أنه يُعرف به صبر العبد على بلواه ، وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط! نعم ، إذا صبر العبد إيماناً وثباتاً كُتب في ديوان الصابرين ، ويكفي الصابرين شرفاً أنهم في معية وحفظ الملك جل وعلا قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ). فإذا حمد العبد وشكر كتب في ديوان الشاكرين ، ويكفي الشاكرين شرفاً أنهم أهل الزيادة قال تعالى: (ولئن شكرتم لأزيدنكم). والصبر المأجور صاحبه هو الذي لا بد أن يتدبر فيه أموراً: منها أن يعلم أن المرض مقدّر من عند الله (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، وأن يتيقن أن الله أرحم به من نفسه ومن والده ووالدته والناس أجمعين ، وأن يعلم أن ما أصابه هو عين الحكمة من الله ، وأن الله أراد به خيراً ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يصب منه). رواه البخاري. وأن ما أصابه علامة على محبة الله له ، وأن يعلم أن الجزع لا يفيده ، وإنما يزيد آلامه ويفوت عليه الأجر ، ولذا قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -: (إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور ، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور). ورابعاً: إنّ المرض سببٌ للدعاء واللجوء والانكسار بين يدي الله. قال تعالى: (فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. والصبر اليوم أجره مضاعف لأن حال الأمة يشبه العبادة في الهرج التي هي هجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. حيث عم الجهل وغربت السنة وألفت البدعة وأصبح أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع! وإذن فالقبض على الدين والإيمان اليوم فضل من أي زمان مضى! فاصبري واحتسبي يا أم عبد الله!)

يـــا عـــزة الخيـــر عـــمّ الجهـــلُ واللغـــط ... وقـــلّ قـــومٌ بهـــدْي المصـــطفى ارتبطـــوا

والـــديـنُ أمســـى غريبـــاً فـــي مرابعنـــا ... وأغلـــبُ النـــاس – بالكبـــائر - اغتبطـــوا

وأصـــبح الحـــق مَبغوضـــاً ومُنتبـــذاً ... مـــن الخلائـــق فـــي أهـــوائهم خبطـــوا

والســـنة اليـــوم تلقـــى مَـــن يُبَـــدِّعُها ... وفـــي الأناســـيّ مَـــن بالبدعـــة اعتبطـــوا

ولـــى زمـــانٌ بـــه ازدهـــتْ شـــريعتنا ... وحـــلّ عهـــدٌ بـــه يَستأســـد الشـــرَط

وهـــم ورب الـــورى شـــرٌ مخالطـــة ... وضـــلّ قـــومٌ بفـــرد مـــنهمُ اختلطـــوا

لا يعرفـــون لهـــم دينـــاً ولا رَشَـــداً ... إذ فـــي الضـــلالة والكفـــران قـــد ســـقطوا

لا يُـــدركون مـــن الإســـلام خردلـــة ... وفـــي التعنـــت والســـوآى لهـــم خطـــط

إلا قلـــيلاً عُـــرى إيمـــانهم كتمـــوا ... ولـــم يُبـــالوا بقـــوم بيـــنهم قســـطوا

أمـــا الضـــحايا فهـــم أبنـــاءُ جلـــدتنا ... الصـــالحون هـــمُ ، والأمـــة الوســـط

(الخاطرة السابعة عشرة)

(ها هو عروة بن الزبير من أفاضل التابعين وأخيار التابعين ، كان له ولد اسمه محمد من أحسن الناس وجهاً ، دخل على الوليد في ثياب جميلة ، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش ، وما دعا له بالبركة ولا ذكر الله تعالى! فقالوا أنه أصابه بالعين ، فخرج محمد بن عروة بن الزبير من المجلس فوقع في اصطبل للدواب فلا زالت الدواب تطأه حتى مات ، ثم بعدها مباشرة وقعت الآكلة في رِجل عروة بن الزبير والده ، وقالوا لا بد من نشرها بالمنشار وقطعها ، حتى لا تسري في أماكن أخرى من الجسد فيهلك ، فنشروها فلما وصل المنشار إلى القصبة (وسط الساق) ، وضع رأسه على الوسادة فغشي عليه ثم أفاق والعرق يتحدّر من وجهه وهو يُهلل ويكبّر ويذكر الله ، فأخذها وجعل يقلبها ويقبلها في يده وقال: (أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أنني ما مشيت بك إلى حرام ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يُرضي الله) ، ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت ، وأمر بها أن تقدم إلى المقبرة ، ولما جاء من السفر بعد أن بترت رجله وفقد ولده قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، ولما قالوا: نسقيك شيئاً يزيل عقلك؟ قال: إنما ابتلاني ليرى صبري ، ورفض. وهاهو أبو قلابة التابعي الجليل ممن ابتلي في بدنه ودينه ، وأريد على القضاء وهرب إلى الشام فمات بعريضة ، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره ، وهو مع ذلك حامدٌ شاكرٌ ، وعندما سئل على ماذا تحمد؟ فقال: ألم يعطني لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وبدناً على البلاء صابراً؟) وإذن فالبلاء والابتلاء سنة ماضية لا تتبدّل ولا تتحول ولا تتخلف! والإنسان يا أم عبد الله عندما يطالع هذه السير العظيمة تهون عليه بليته ويُرزق القدرة على الصبر والاحتساب! ومن يتصبّر يصبره الله! والعاقل من وعظ بغيره! وأنت ذات بصيرة ووعي فاصبري!)

يـــا عـــزة الخيـــر إن الفـــذ يـــتعظ ... مـــن الـــذين هُـــدى الإســـلام قـــد لفظـــوا

إن الثبـــات علـــى الإســـلام منقبـــة ... يحظـــى بهـــا المســـلم المسترشـــدُ الـــيقظ

والنـــاسُ أعـــداءُ مـــن دعـــا جحـــافلهم ... للحـــق فـــيهم ، فكـــم يهـــدي وكـــم يعـــظ!

كـــم أقســـموا أن يتوبـــوا عـــن كبـــائرهم! ... فهـــل جمـــوع الـــورى أيمـــانهم حفظـــوا؟!

وكـــم تشـــبّه مـــن ســـادوا بمـــن رحلـــوا! ... فمـــا اســـتكانوا ، ومـــا فـــاؤوا لمـــا وعِظـــوا

بـــرغم أن دعـــاة الخيـــر مـــا انفعلـــوا ... ومـــا اعتـــرى صَـــدْعَهم زجـــرٌ ، ولا غِلـــظ

وبعضـــهم نـــاوأ الـــدعاة فـــي صـــلفٍ ... مســـتهجناً قـــولهم ، وبعضـــهم لمظـــوا

وعمّـــتِ القـــومَ فوضـــى تعتلـــي شُـــبَهاً ... وغـــرّهم جهلهـــم ، يـــا ليـــتهم لحظـــوا!

وزاحمـــت بدعـــة الإرجـــاء عِليـــتهم ... وأنـــذروا ، وذوو الأوهـــام مـــا اتعظـــوا

أواهُ كـــم تقتـــلُ الـــدنيا أعابـــدَها ... مِـــن الـــذين ـ بأخـــذ الحِـــذر ـ مـــا احتفظـــوا

(الخاطرة الثامنة عشرة)

(وتحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد: (يا من منعك المرض من الذهاب إلى بيوت الله في الأرض ، الحذر الحذر من ترك الصلاة خلال فترة المرض أو التهاون في أدائها في أوقاتها ؛ لأن ذلك ذنبٌ عظيمٌ وأمرٌ جسيم ، فترك الصلاة عمداً كفر – والعياذ بالله – كما أفتى بذلك عُلماء الإسلام ، كما أن التهاون في أدائها ذنبٌ كبيرٌ يكون الإنسان منه على خطرٍ عظيم. فعليك بالمحافظة على أداء الصلاة في وقتها قائمًا أو قاعداً أو مُضطجعاً أو مُستلقياً أو على قدر استطاعتك. وليس هذا فحسب بل عليك أن تُذَكِّر من هم حولك من المرضى بعِظم شأن الصلاة ، وأهمية المحافظة عليها لا سيما وأن المرضى أحوج ما يكون إلى ذلك في حال مرضهم).هـ. وتحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصرّف زهيد: (نعمُ الله تعالى تَترى لا تُعَدّ ولا تُحصى! المرض ابتداء كما أشعر به! اصطفاء تمر الأيام والشهور ويعيش العبد حياته في روتين شديد. وربما أنسته الدنيا ذكر الله أو حمده. ولربما انشغل بهمومه ومسؤولياته وضغوطه حتى إذا ما شطّ ألزمه ربه جل وعلا لباس المرض أن: عُد. ألم تحِنّ إلينا؟! فهو إذاً رحمةٌ يمنّ الله جل وعلا على عباده ليذكروه ويبتهلوا إليه بالدعاء "لعلهم يتضرَّعون". وحين يسمع الأنين يتجلّى بالشفاء ويمسح الحَزَن. أو يكون غير ذلك بأمره وحكمته فالموت حق. قدرٌ مكتوبٌ في طيّاته كل الخير إن أحسن العبد القراءة والتمعّن. ولقد هالني حقيقة ما سمعت ذات مرةٍ من عبارات لا تليق بمؤمن أن ينطق بها. "حزِنّا لأجلك. فأنتِ لا تستحقين ما يحدث لك". أوَيحزن مؤمن لقدر مؤمنٍ إن صبر فاز؟).هـ. والمقصود أن يستمر المسلم في الطاعة مهما كان من عذاب ونصب!!)

يـــا عـــزة الخيـــر عمّـــتِ دارنـــا البـــدعُ ... وغـــاص فـــي لجـــج الأوحـــال مجتمـــعُ

والمحـــــدثات غـــــزتْ أرحـــــابَ ضـــــيعتنا ... وأصـــــبحت سَـــــناً تُرجـــــى وتُتبـــــع

وللضـــــــلالات شـــــأنٌ عـــــز جانبـــــه ... وأغلـــبُ النـــاس فـــي دروبهـــا انـــدفعوا

وشِـــرعة الغـــاب ســـادت فـــي غِيـــاب تُقـــىً ... واليـــوم كشّـــر عـــن أنيابـــه الســـبُع

مـــــاذا هنالـــــك؟ قـــــالوا: أمـــــة تركـــــتْ ... ديـــنَ الإلـــه ، فعمّـــتْ أرضَـــها البـــدع

وحاربـــــت أوليـــــاءَ الله فـــــي شُـــــبَهٍ ... وســـــالمتْ زمـــــراً تطغـــــى وتبتـــــدع

وهـــــدمتْ دور أقـــــوام بـــــلا ســـــبب ... وأهرقـــــتْ دم مَـــــن لـــــربهم ركعـــــوا!

ومارســـــتْ سُـــــنة الإرهـــــاب تُتقنهـــــا ... وأحرقـــتْ عُـــزلاً فـــي الســـاحة اجتمعـــوا

لـــم تـــرحم الطفـــل فـــي أحضـــان والـــدةٍ ... بـــل غالـــه حقـــدُها المـــروّعُ البشـــع

فـــــأخر الله نصـــــراً كـــــان يرصـــــدُها ... إذ أهلهـــا بـــابَ حـــرب الله قـــد قرعـــوا

(الخاطرة التاسعة عشرة)

(تحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصرّف زهيد: (مَن زعم أن المرض هو بلاء وشرٌّ كله أو أنه عقاب يفتك بأجساد السيئين من البشر؟! أليس المرض هو علامة حب الله جل وعلا فإذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه؟! أليس فيه تقرب من الله جل وعلا؟ ألست حين تمرض توقن أن النفع بيد الله تعالى فيسجد القلب قبل الجوارح بين يديه جل في علاه؟ ويشعر بضعفه وحاجته لهذا الرب الكريم؟ أليس المرض ابتلاءً من الله جل وعلا ليمحّص الإيمان؟ ويا له من شعور حين يسلِّم المريض الأمر لله جل وعلا ويقول: هذا جسدي وقلبي ونبضي ولحمي بين يديك. فافعل ما تشاء فإني راضٍ راض! أليس تكفيراً للخطايا والذنوب كما أخبر الحبيب عليه الصلاة والسلام حيث قال "حطة يحط الخطايا عن صاحبه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها"؟ أليس رفعاً للدرجات وبُعداً عن النار؟! فلِم نخشى المرض إذن ونرهبه؟ ووالله إنّ أول ما يتبادر إلى ذهن المؤمن حين يُبتلى بجسده هو الحمد والشكر أن منَّ الله جل وعلا عليه بالمرض ليقرّبه منه. ويُغدِق عليه بالخيرات والرضا. ففي كل آهةٍ أو ألم أو وجع تكفير ذنب وقرب من الرب وحمد وتَوْب ولين قلب. وهل أكثر من ذلك من عطاء؟! نبضات الأصدقاء الصادقة. أنجع من كل العقاقير والأدوية! وقبل الأصدقاء الأهل!).هـ. ومن هنا أناشد أم عبد الله أن تعلم يقيناً أن ما يحدث حولنا من ابتلاءات لأهل الإيمان إنما يحدث على عين الله وبإرادة منه سبحانه وبقدر! وليعلم كل منا أن أهل الباطل إنما يعيشون فترة الإملاء والإمهال فقط! ولسوف يأتيهم من الله قدرهم في أخذ الظالمين! (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) (إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته!) (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وأنت أهل لمعرفة الواقع وإنزال الآيات والأحاديث عليه! لذلك فاصبري!)

يـــا عـــزة الخيـــر أهـــلُ الســـوء قـــد بلغـــوا ... حـــداً خطيـــراً وفـــي ســـحق الـــورى نبغـــوا

وأشـــــربتْ ظلمَهـــــا الجمـــــوعُ مُكرهـــــة ... والظـــالمون لمـــا يُـــزري بهـــم فزعـــوا

تســـتهجنُ العِيـــرُ مـــا قـــالوا ومـــا فعلـــوا ... وتســـتجيرُ مـــن الســـوآى بهـــا اصـــطبغوا

غـــدا الحـــرامُ حـــلالاً ، والصـــوابُ خطـــا ... ومنتهـــى ظلمهـــم للنـــاس قـــد بلغـــوا

ونفـــذوا كـــل مـــا أعـــداؤنا رســـموا ... والعـــيشُ زاحمـــه الفســـادُ والوَتـــغ

وراهنـــوا فـــي الـــدنا علـــى مـــذلتنا ... وفـــي مَعـــين تســـامينا لقـــد ولغـــوا

وعَقـــدوا عِيشـــة مـــا كـــان أيســـرَها! ... فهـــل شـــياطين إنـــس بيننـــا نزغـــوا؟

ويُـــوأد العـــيشُ إمـــا أمِّـــرَ الســـفها ... مِـــن العُتـــاة بـــألوان الهـــوى صـــبغوا

لا يُـــدركون مِـــن التـــأمير جَـــوهره ... وإن يقولـــوا فأطفـــالٌ بهـــم لثـــغ!

وهـــل حيـــاة إذا مـــا ســـاد مـــن هزلـــوا؟ ... وهـــل بخيـــر أسُـــودٌ أمّهـــم وَزغ؟!

(الخاطرة العشرون)

(تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد: (يا من أحاطت بك الآلام والأوجاع ، احتسب ما تشتكيه من مرض عند الله تعالى فلعل ذلك مقدِّرٌ منه سبحانه لرفع منزلتك في الدار الآخرة متى صبرت واحتسبت. ولأن ذلك قد يكون ابتلاءً من الله سبحانه وتعالى ، فالمؤمن مُبتلى لقوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}. فعليك أن تصبر وتحتسب الأجر على ما أصابك ، وأن ترضى به امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: " فمن رضي فله الرِّضا ، ومن سخط فله السَّخطُ ". يا من تنشد الصحة وتبحث عن العافية لا شك أنك تبحث عن أي علاج يمكن أن يُعالج مرضك ويُريحك مما تجده من الآلام والأوجاع ، وهذا أمر مشروع ومأمور به شريطة أن لا يكون حراماً أو غير جائز ، لما روي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق الداء والدواء ، فتداوَوْا ، ولا تتداووا بحرام". (رواه الطبراني). فإذا كان العلاج بما أباحته الشريعة فهو أمرٌ جائزٌ شرعاً ، أما إذا كان غير ذلك مما فيه سحرٌ أو كهانةٌ أو شعوذة ونحو ذلك مما حرَّم الله تعالى فلا يجوز أبداً لما فيه من احتمال الوقوع في الشرك ، أو الكذب والخِداع ، والتدليس والاحتيال ، ولما في ذلك من الشر والفساد وأكل أموال الناس بالباطل ؛ إضافةً إلى كونه أمراً يقدح في عقيدة الإنسان وصدق إيمانه – والعياذ بالله – فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى كاهناً أو عرافاً فصدَّقه فيما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد". (رواه أحمد). فإن كان الواقع من حولنا يضغط على أعصابنا ويستفزنا كثيراً فلنعلم أن هذا كله يحدث على عين الله ، فنسأل الله أن يفرج عنا ما نحن فيه وما تمر به أمتنا من المحن!)

يـــا عـــزة الخيـــر أمســـى الطفـــلُ يُختطـــفُ ... فـــي عـــالم بغيـــاب الأمـــن يُتصـــفُ

إذ يُســـرَقُ الطفـــلُ كـــي يُبـــاعُ تجزئـــة ... كمـــا يُبـــاعُ متـــاعُ البيـــت والتحـــف!

فـــي قريـــةٍ بطـــرتْ عمـــداً معيشـــتها ... وفـــي مرابعهـــا الإجـــرامُ يُحتـــرف

فلـــم تعـــدْ قِـــيَمٌ فيهـــا ، ولا مُثـــلٌ ... وأهلهـــا جُلهـــم بـــالجور مـــا اعترفـــوا

أمســـى الأطبـــاء جَـــزارين تحســـبهم ... لمّـــا تعـــدْ مهـــنٌ لهـــم ولا وُظـــف

إلا التجـــارة فـــي الأعضـــاء فـــي وطـــن ... إلـــى الضـــلالة والإجحـــاف ينجـــرف

طغاتُـــه جرّعـــوه الكيـــدَ عـــن رَغـــم ... ولـــم يعـــد عـــن ديـــار الكفـــر يختلـــف

بـــل قـــد غـــدا عـــنهمُ أضـــلّ مَرتبـــة ... إذ حققـــوا العـــدلَ مـــا جـــاروا ولا احتلفـــوا

لـــذا تفيّـــأ محكـــومٌ وحاكمُـــه ... ظِـــلالَ عـــدل ، فمـــا هـــانوا ومـــا ضـــعفوا

ودولـــة العـــدل تبقـــى الـــدهرَ صـــامدة ... ودولـــة الظلـــم يطـــوي بأسَـــها الجَنَـــف!

(الخاطرة الحادية والعشرون)

(تحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصرّف زهيد: (فأحياناً نجد الأهل في صخب ونصب. فدعاء ودعاء ودعاء. وزيارات مكوكيّة للاطمئنان. واتصالات متوالية لمواكبة كل تطورات الحالة المرَضيّة. حتى ليكاد المريض يشعر أن العالَم توقف عنده هو فقط! فيشعر - بالرغم من ضيقه لاستنفاد طاقات الأهل بالسؤال - أنه بعمق نعمة الله جل وعلا ، وأنه قد رزقه أهلاً يهتمون بأمره ويتابعونه بحب وخوف ورجاء! ومَن مثل الأم في عطفها وتفانيها أمام فلذة كبدها مهما بلغ من العمر؟ فهو يبقى الصغير الذي لا يكبر أبداً في عينيها المُحِبّتين! تداريه برموشها وتغمره بدفء قلبها. تئن قبل أن يئن ، وتمدّه بالرعاية والحنان حتى يقوى على المرض ويستعيد صحته. وتظلّ تداري ألمها وخوفها حتى لا يعتريه الضيق. وقد تتألم أكثر من ألم مريضها إلا أنها تُخرِس أي صوتٍ يعلو على صوت الأمومة الحقّة. ويأتي العُوّاد ابتغاء الأجر ، وترجمة لمعاني الأخوّة الراقية وتجسيداً لأسمى رابطة قدسيّة قد تجمع بين بشر وهي "الأخوّة في الله". تلك المفردات التي لا يعرف كنهها إلا من عاشها وسبر أغوارها فانتشى كلما قرب. يشعر المريض وإخوانه إلى جانبه كأنهم غمامة تقيه حر الألم. وتظلّله حتى إن غابوا عن ناظريه. فابتهالاتهم ودعواتهم تحوم حول سريره الذي يقيّده. فترفعه مكاناً علياً من السعادة والظفر. وأيّ مشاعر تعلو ما يعيش؟! ثم يقولون: المرض شرٌ مستطر؟! كلا وربّي!).هـ. وأنا أشعر أن هذا شعورك الدائم وإحساسك القديم الجديد يا أم عبد الله! وهو أنك وسط أهلك وقرابتك يهون عليك كل مرض وبلية! وتعلمين أن جُل أصحابي وأصفيائي قد سبقوا وأنا بهم لا شك لاحق! وهذا مما يزيد ألمي ووجدي!)

يـــا عـــزة الخيـــر أصـــحابي لقـــد ســـبقوا ... إلـــى القبـــور ، وأعـــدائي العُتـــاة بقـــوا

وحُـــزنُ قلبـــي علـــى الأحبـــاب يقهرنـــي ... طـــواهمُ المـــوتُ واســـتحيا الـــذين شـــقوا

وحِكمـــــة الله فـــــي الحـــــالين بالغـــــة ... ونحـــــن فيمـــــا قضـــــى إلهنـــــا نثـــــق!

يبقـــى فراقـــي لهـــم طيفـــاً أضـــيق بـــه ... ذرعـــاً مريـــراً ، لـــه الأعصـــابُ تحتـــرق

وكلمـــــا جـــــاءني نعـــــيٌ رثيـــــتُ لـــــه ... وانتـــــابني الوجـــــدُ والإيجـــــاعُ والقلـــــق

أن يـــــأتيَ الـــــدورُ مـــــأموراً ليحصـــــدني ... هـــذا قضـــاءٌ – علـــى الأحيـــاء – ينطبـــق!

لكـــنْ أمـــوتُ ، وأشـــعاري تمـــوتُ معـــي ... هـــل بعـــد وصـــل بهـــا يحـــينُ مفتـــرق؟

ولا تلاقـــــي الـــــذي يهـــــوى قراءتهـــــا ... وقـــــد تمـــــزق هـــــل تطـــــالعُ اللِـــــزق؟!

يـــا ليـــت شِـــعري إذا نـــاح القـــريضُ علـــى ... رحيـــــل صـــــاحبه وضُـــــيّقَ الأفـــــق!

وشَـــيَّع الشـــعرُ جُثمـــاني بفـــرط جـــوى ... ودمـــعُ عينيـــه مثـــلُ الســـيل ينـــدفق!

(الخاطرة الثانية والعشرون)

(اقرئي واسمعي يا أم عبد الله لكي يهون المرض! تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد: (عليك أن تحرص على قراءة القرآن الكريم لحصول الطمأنينة ، كما أن عليك أن تحرص على مطالعة الكتب النافعة والانشغال بقراءتها والاطلاع على محتوياتها ؛ فإن لم تستطع فلا تُهمل سماع المصنفات الإسلامية التي تشتمل على التلاوات المباركة ، والمحاضرات النافعة ، والدروس المفيدة ، والخُطب العظيمة التي يمكن أن تُشغل بها وقتك ، وتنسى بها. • يا من صبرت على ما أصابك واحتسبته عند الله تعالى ، اعلم أن في مرضك خيرٌ كثيرٌ لك لما فيه من تطهيرٍ لقلبك وجوارحك من الذنوب والخطايا ، ونيلٍ لعظيم الأجر وجزيل الثواب. وليس هذا فحسب بل إن من كرم الله جل جلاله عليك أن يُجري لك الأجر والثواب على أعمالٍ لم تعملها ، ولكنك كنت تُحافظ عليها قبل مرضك ، فقد روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مرض العبدُ أو سافرَ كُتبَ له مثلُ ما كان يعملُ مُقيماً صحيحاً". (رواه البخاري). • يا من مسّك الله بضُرٍ لا يكشفه إلا هو سبحانه ، اصبر على ما قضاه الله تعالى وقدَّره عليك ، فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وإياك أن تيأس أو تقنط من رحمة الله تعالى ؛ فإن ذلك مُخالفٌ لهدي الإسلام وتربيته وآدابه ، واحذر من تمني الموت متى اشتد عليك المرض لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله يقول: "لا يتمنين أحدكمُ الموت إما مُحسناً فلعله يزداد خيراً ، وإما مسيئاً فلعله يستعتب". (رواه ابن حبان).هـ. فاحرصي على ما ينفعك يا أم عبد الله من القراءة والصحبة! عندما استعرضت أصفيائي وأحبابي وجدتهم قد رحلوا فمن لشعري هذا؟!!)

يـــا عـــزة الخيـــر أمســـى الشـــعرُ يرتبـــكُ ... أن الرفـــاق الألـــى يهوونـــه هلكـــوا

فـــأين للشـــعر (شـــربينيّ) رفقتنـــا؟ ... وأيـــن للشـــعر (حُســـنيْ) الناقـــدُ المَحِـــك؟

وأيـــن للشـــعر (بغـــداديُّ) صُـــحبتنا؟ ... وأيـــن للشـــعر (إســـماعيلُ) يشـــترك؟

وأيـــن للشـــعر (عـــدنانٌ) بمـــا ســـطرتْ ... يـــدُ القـــريض تحـــاكي شـــعر مـــن سَـــبكوا؟

وأيـــن (ســـالمُ) للأشـــعار ينقـــدها ... نقـــداً بـــه يـــذهبُ الإبهـــامُ والخلـــل؟

وأيـــن لـــي كـــ (ـــأبي عبـــد الوهّـــاب) أخـــاً ... يهـــدي الطريـــق إذا مـــا استشـــكلتْ طـــرق؟

وأيـــن لـــي كـــأخي (المتوكّـــل) اكتملـــتْ ... رؤاه فـــي الشـــعر كالأفـــذاذ الألـــى حبكـــوا؟

وأيـــن (خالـــدُ) للأشـــعار أنشـــدها؟ ... حسِـــبته لأداة النقـــد يمتلـــك!

كـــانوا جميعـــاً أســـاطيناً أتيـــهُ بهـــم ... وكـــل فـــردٍ ـ إذا مـــا جئتـــه ـ ملـــك!

لكـــنهم رَحلـــوا ، والشـــعرُ يَـــذكرُهم ... ويَـــذكر النفـــعَ والخيـــرَ الـــذي تركـــوا

(الخاطرة الثالثة والعشرون)

(تحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصرّف زهيد: (محرومٌ والله مَن مرض صاحبه ولم يعُده. ومن استطاع زيارته فلم يفعل. جلسَت قُبالتي وقالت: قبل أن أسألك عن صحتك دعيني أقول الدعاء كما ورد "أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك". ردّدتها ثلاثاً وحين فرغت من الدعاء سألتني كيف هو الألم. رددت عليها: قد غاب! وتيقّنت أنني لا بد معافاة من هذا المرض! فالحبيب عليه الصلاة والسلام قد صدق! وبقَدَر تعبي من الزوّار إلا أنني كنت مفعمة بالسعادة سابحة في محيطاتها. أن قد حباني الله جل وعلا كل هذه القلوب المُحِبّة. وحين يجنّ التعب أغمض جفني وأنام. لأفيق على نبرات ودودة وأصوات رقيقة من جديد. بتّ أعرفها جيداً وأحفظها عن ظهر قلب! ومَن لم يستطع الزيارة فلم يبخل بالاتصال. من كل بقعة من الأرض قلوب تتفقّد وتسأل وتطمئن. يا لهذا الكون ما أوسعه بما حوى! وكم دمعت العيون وفاضت الجفون محبة وحنيناً. حتى إذا ما مررتُ على موقعٍ فيه أمل للأمّة أو عنوان بريدي. أو شبكة اجتماعية تعرفت من خلالها على أُناس يستحقون الأخوّة ركنتُ ودعوتُ لهم مخلِصة أن يجمعنا الله جل وعلا في الفردوس الأعلى كما جمعنا في دنيانا هذه. ويبقى لبعض الناس نكهةٌ خاصة. أصواتهم كالماء البارد على الظمأ. يُواسون ويَدعون ويَعدّون الأيام سنيناً حتى أعود. ومن أجلهم إن شاء الله سأعود!).هـ. وأكاد أجزم أن هذا شعورك يا أم عبد الله فرحة بالأهل والصديقات! ولكنني أعود بالذكرى إلى الوراء حيث تذكرتُ الآباء والأمهات الذين هم في الدنيا الرحماء! وتذكرت تقصيري غير المتعمد والله! وإنما فرضته ظروف ومقادير! وتذكرت أنني لم أغسل ولم أكفن ولم أصلّ ولم أشيّع فبكيت!)

يـــا عـــزة الخيـــر والـــذكرى لهـــا طلـــلُ ... بوالـــــديَّ ووالـــــديكِ يتصـــــلُ

إذ مـــات مـــن مـــات لـــم أشـــهد جنازتـــه ... ولـــم أشـــيّعْ ، ولـــم ألحـــق بمـــن حملـــوا

ولـــم أعـــز كمـــا عـــزى الألـــى حضـــروا ... كمـــا قضـــى شـــرعُنا والعُـــرفُ والمُثـــل!

فقـــال قـــومٌ: يُـــرى قـــد بـــاعَ عِشـــرته ... وقـــال قـــومٌ: عـــن الأحبـــاب مُشـــتغل!

وقـــال قـــومٌ: غـــدتْ دنيـــاه قِبلتـــه ... يـــبشّ إن أقبلـــتْ ، وبعـــدُ يحتفـــل

ويشـــهدُ الله لـــم أبـــعْ مَـــودة مَـــن ... بهـــم تبلغـــتُ ، حتـــى كـــان لـــي أمـــل

ومـــا انشـــغلتُ عـــن الأحبـــاب ، بـــل قـــدرٌ ... أفضـــى إلـــى غربـــةٍ مُصـــابُها جَلـــل

ومـــا احتفلـــتُ بـــدنيا ، أو بششـــتُ لهـــا ... وذات يـــوم أنـــا عنهـــا ســـأرتحل

ومـــا غـــدتْ قِبلتـــي دنيـــا ابتُليـــتُ بهـــا ... هـــذي وربـــي – علـــى التحقيـــق - معتقـــل

ليغفـــر الله تقصـــيراً رُميـــتُ بـــه ... وكـــم بهـــذا الـــدعاء الفـــذ أبتهـــل!

(الخاطرة الرابعة والعشرون)

(كم من أناس عندما مرضوا أعرضوا عن اللجوء إلى الله والدعاء والانكسار بين يديه جل وعلا. فليتهم إذ مرضوا لجأوا الى الله خاشعين منكسرين! وأهل التوحيد إذا أصيبوا ببلاء أو مرض صبروا ولجأوا إلى الله وحده واستعانوا به وحده جل جلاله. فلنتأمّل البلاء العظيم الذي ابتلي به أيوب – عليه السلام – فقد ابتلاه الله في أهله ومالـه وولده وجسده لله حتى ما بقي إلا لسانه وقلبه ، ومع هذا كله كان يُمسي ويُصبح وهو يحمد الله ولم يشكُ حاله إلا إلى الله جل وعلا! وبعد سنين من البلاء والمرض رفع يديه إلى الله بكل ذلّ وانكسار: (رب إني مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين) ، فجاء الجواب من الجواد الكريم: (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين) ، ومدحه ربه سبحانه بقوله: (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب). وتحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد ما نصه: (إن من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على عباده أن متعهم بالعافية ورزقهم الصحة والسلامة ؛ كالتاج على رؤوسهم لا يراه إلا المرضى الذين يرقدون على فراش المرض يئنون ويتوجعون ، ويتألمون آناء الليل وأطراف النهار ، وهم تحت رحمة الله جل وعلا ؛ ثم عناية من حولهم من الأهل والأطباء والممرضين لا يملكون لأنفسهم حيلة ، ولا يجدون مَهرباً مما هم فيه إلا بفضل الله ورحمته).هـ. وكنت قد شردتُ بخيالي في تهم رماني بها المغرضون من بيع العِشرة والإقبال على الدنيا والعزم على اللاعودة للديار ومجافاة الأهل والأحباب والأصدقاء! تلك التهم الشنيعة التي سببها الاغتراب الجبري الطويل! ونعود بإذن الله وقد أزال الله الغمة وأزاح الطغمة ورفع شأن البلاد والعباد! إنه لما يشاء قدير!)

يـــا عـــزة الخيـــر حامـــت حـــوليَ الـــتهمُ ... كـــأنني لـــم أعـــشْ بالـــدين ألتـــزمُ

وكـــم أســـوقُ مـــن التبريـــر ملتمســـاً ... عفـــوَ القضـــاة الألـــى علـــيّ قـــد حكمـــوا!

أقـــول: ســـاحة أهلينـــا لقـــد برئـــتْ ... والعيـــبُ فـــي الـــدار إذ حلـــتْ بهـــا الـــنقم

غـــزا الـــديارَ طغـــاة لا خـــلاق لهـــم ... والله منـــتقمٌ مـــن الألـــى ظلمـــوا

فأصـــبحت عـــودتي للـــدار معجـــزة ... حتـــى تُزايلهـــا الـــداءاتُ والإزم

أعـــودُ رافـــعَ رأس لا أطأطئهـــا ... إلا لـــرب بـــه فـــي الكـــرب أعتصـــم

أعـــودُ أصـــنعُ مجـــداً عِشـــتُ أحرُسُـــه ... مِـــن الضـــياع ، فـــلا يُـــودِي بـــه العـــدم

أعـــودُ أكملهـــا مســـيرة بُـــدئتْ ... مِـــن أربعـــين مَـــداها الطِـــرسُ والقلـــم

أعـــودُ أنشـــرُ شِـــعراً قـــلَّ ناشـــرُه ... لأن زبدتـــه الأخـــلاقُ والشـــيَم

أعـــودُ أحمـــلُ أفكـــاري لعاشـــقها ... حتـــى تُغـــرّد فـــي أصـــقاعنا القِـــيَم!

(الخاطرة الخامسة والعشرون)

(تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد: (لأن الأمراض والأوجاع مما يُبتلى به عبادُ الله في أجسامهم وأنفسهم فلا ينعمون بطعم الحياة ولذة الصحة ، وربما حُبسوا على فراش المرض دونما قيامٍ أو قعودٍ أو حركةٍ ، الأمر الذي تثقل معه الأجسام ، وتتعطل معه الحركة ، وتقِل به الصُحبة ، وتضيق معه النفس ؛ فقد رأيتُ من واجبي أن أكتب هذه الرسالة لإخواني المرضى مُواسياً لهم ومُشاركاً ، فعسى أن يكون بين أسطرها تخفيفاً لآلامهم وأوجاعهم ، وتذكيراً لنا جميعاً بفضل الله ورحمته. وفيها أقول مستعيناً بالله وحده: • يا من تعلم أن ما أصابك ليس إلا بقدرة الله تعالى ، أحسن الظن بالله سبحانه حتى يُهوّن عليك ما أنت فيه من مرض ، فإن الله لطيف بعباده. واعلم أنك متى أحسنت الظن بالله سبحانه شعرت بالرضا ، وهان عليك مرضك لأنك على يقين تام بأن الله لا يُقدِّر إلا الخير ؛ ثم إن من قدَّر عليك المرض ليس إلا أرحم الراحمين الذي هو أرحم بخلقه من الأم بولدها. • يا من ابتليت في صحتك وعافيتك ، أحمد الله تعالى أن ما أصابك من مرض أو ابتلاء لم يكن في دينك فإن المصيبة في الدين هي الخسران المبين. واحذر من التسخط وإظهار الجزع ، وعدم الرضا بالقدر فإن ذلك مما لا يليق بالإنسان المسلم ولا يجوز له بحال من الأحوال. • يا من تطمع في رحمة الله تعالى وفضله ، لا تنس أن المرض كفارة – بإذن الله – للذنوب والخطايا ؛ فاستبشر خيراً بلُطف الله تعالى ورحمته ، واعلم أن مُصيبتك أهون من مصيبة غيرك ؛ وأن هناك من هو أشد منك بلاءً ، وأكثر ألماً ووجعاً).هـ. فاستمسكي بالتقوى يا أم عبد الله ، واستعيني بالله واصبري! وأحسني الظن بالله ولا تركني لأي ظالم مغرض! والله معك ناصراً ووكيلاً!)

يـــا عـــزة الخيـــر تقـــوى الله والســـننُ ... حبـــلُ النجـــاة لنـــا إن ســـادتِ الفِـــتنُ

فاستمســـكي بعُـــرى التوحيـــد ، واتبعـــي ... هُـــدى النبـــي إذا عـــمّ الـــورى دخـــن

واســـترجعي دائمـــاً فـــي كـــل نائبـــةٍ ... وحـــوقلي ريثمـــا تُطـــوَى لنـــا المِحـــن

وراجعـــي الـــنفسَ فـــي كـــل الأمـــور ، فـــلا ... تعصـــي المليـــك ، ولا يحلـــو لهـــا الـــوَهن

وادعـــــي الإلـــــه إذا مَسَّـــــتكِ نازلـــــة ... فلـــيس تبقـــى إذا طـــال الـــدعا إحـــن

إيـــاكِ أن تركنـــي إلـــى الألـــى ظلمـــوا ... خـــاب العبـــاد لعـــاتٍ ظـــالم ركنـــوا!

واســـتكثري مـــن فِعـــال الخيـــر أجمعهـــا ... إن الثـــواب بفعـــل الخيـــر مُقتـــرن

وأحســـني الظـــن بـــي ، إمـــا أتـــى خبـــرٌ ... إنـــي - بمـــا يفتـــري الوشـــاة - ممـــتحن

أراكِ أكبـــرَ مـــن قـــوم بنـــا مكـــروا ... سِـــرِّي لـــديكِ ، وطبعـــاً عنـــدكِ العلـــن

فبـــادليني شـــعوراً عشـــتُ أبذلـــه ... حتـــى يـــزول أســـىً فـــي القلـــب محـــتقن

(الخاطرة السادسة والعشرون)

(تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد: (يا من فقدت طعم العافية ، لا تُكثر من الشكوى والأنين ، فقد كان السلف الصالح يكرهون ذلك لما فيه من الضعف وعدم الصبر. وعليك بكثرة الذكر تسبيحاً وتحميداً وتكبيراً وتهليلاً ، واحرص – شفاك الله – على لزوم الاستغفار واللجوء إلى الله سبحانه ، فإن في ذلك فرجاً لك ومخرجاً مما أنت فيه من ألمٍ وهمٍ ووجعٍ وضيق ، فقد روي عن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من لزِم الاستغفارَ جعل الله له من كُل ضيقٍ مَخرجاً ، ومن كل همٍّ فرجاً ، ورزقه من حيثُ لا يحتسب". (رواه أبو داود). وعليك أن تُكثر من الدعاء الصادق والإلحاح في الطلب ، فإن الله جل جلاله يُحب من عبده أن يسأله ، ومتى علم سبحانه وتعالى من العبد الصدق والإخلاص أجابه وحقق رجاءه ، ورفع عنه ما يشتكيه بعزته وقُدرته سبحانه. • يا من كثُرت همومك وزادت أوجاعك ، تذكَّر أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك ، وإياك والوقوع فيما يُسَولُه الشيطان لبعض المرضى الذين يظنون أن السبيل إلى نسيان آلامهم ، والتخفيف من أوجاعهم ، والترويح عن أنفسهم لا يكون إلا بسماع الموسيقى والغناء المُحرّم).هـ. فيا أم عبد الله جدّي في كل أمورك وقولي الحق وإن كان مُراً واعملي به ولوكان صعباً! وفاصلي أهل الهزل والاستهتار والنزق! وآثري أهل الآخرة ومن يعملون لنيل كرامة الدنيا وشرف الآخرة بالعمل الصالح وتقوى الله! والزمي طريق الفضيلة ولا تضرك قلة السالكين! وابتعدي عن طريق الرذيلة ولا تغرك كثرة الهالكين!)

يـــا عـــزة الخيـــر لا يَغـــررْكِ مـــن ســـفهوا ... مِـــن الـــذين إلـــى الضـــلالة انتبهـــوا

ضـــلوا الطريـــق إلـــى الرشـــاد ، فـــانحرفوا ... واســـتعذبوا الســـوء يُزكـــي نـــارَه البَلَـــه

وحـــاربوا الحـــق حربـــاً نارُهـــا اســـتعرتْ ... وقودُهـــا القهـــرُ والتضـــليلُ والعَمَـــه

عليـــكِ بـــالحق مهمـــا كـــان مغتربـــاً ... وصـــاحبي القـــومَ ديـــنَ الله قـــد فقِهـــوا

هـــمُ الســـبيلُ لنيـــل الخلـــد جـــائزة ... عاشـــوا وكـــان لهـــم بـــربهم وَلَـــه

وأن أهـــل التقـــى خيـــرٌ مُلازمـــة ... إذ لـــم يعكّـــر صـــفا إيمـــانهم شُـــبَه

هـــم قـــد أحلـــوا الـــذي أحـــلّ خـــالقهم ... وللحنيفـــة - فـــي تشـــريعها - أبهـــوا

وحرّمـــوا كـــل مـــا المليـــكُ حرّمـــه ... وزايلـــوا النـــاسَ فـــي تفكيـــرهم ســـفه

وغلبـــوا الزهـــدَ فـــي الـــدنيا وزخرفهـــا ... فلـــم يكـــن لفتـــىً مـــنهم بهـــا شَـــره

بـــل جُلهـــم عملـــوا فيهـــا لآخـــرةٍ ... شـــأن التقـــاة - إلـــى نجـــاتهم - نبهـــوا

(الخاطرة السابعة والعشرون)

(تحت عنوان: (بلاء المرض وكيفية العلاج) يقول الدكتور عصام بن هاشم الجفري ما نصه بتصرف بسيط: (اتقوا الله عباد الله واصبروا على ما أصابكم من البلاء فإن الله لا يضيع أجوركم. هذه الدنيا دار ابتلاء ومن الناس من يبتلى بالسراء ومنهم من يبتلى بالضراء أخبر عن ذلك ربنا بقوله: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}. وأكثر البلاء تكراراً على الإنسان هو المرض ، وذلك لحكمة ربانية بالغة حتى لا ينسى الإنسان الصفة الملازمة له التي ذكرها له ربه في كتابه بقوله: {..وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}. فهو مهما بلغ وزنه واشتدت عضلاته وغرته صحته يصرعه مخلوق صغير لا يرى ويجعله طريح الفراش لايقدر على الحركة ، وقد يكون سبباً في أخذه إلى المقبرة وتختم حياته على هذه الأرض ، والإنسان إذا مرض ذهب للطبيب وتناول الدواء ، وقد تجرى له جراحة أو جراحات ، كل هذا أسباب مأمورون بالأخذ بها ، لكن من الشافي؟ من المعافي؟ إنه الله ، ولا يمكن أن يشفى مريض ولو اجتمع له أحذق أطباء العالم إذا لم يأذن الله في الشفاء ، وتعالوا واسمعوا معي لإيمان الأنبياء الذي خلده الله في كتابه عن إبراهيم عليه السلام بقوله: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ }. ليس هذا في حال المرض فقط ، بل كل بلاء أو ضراء تصيبك فلا يكشفها إلا الله قال سبحانه مخبراً عن ذلك: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}).هـ. فاغتنمي أوقاتك يا أم عبد الله فإنها خزائنك! واعلمي أن كثيراً ممن حولك فئة من فئتين: إما عالمات فتعلمي منهن العلم ، وإما جاهلات فعلميهن مما علمكِ الله سبحانه! ولا تنتظري سؤالهم بل ابدئيهم بالسؤال وحدّثي عن ربك ونبيك ما تعلمين من العلم!)

يـــا عـــزة الخيـــر لا يلعـــبْ بـــك الزهـــوُ ... ولا يُلِـــهِـــكِ عـــن المثوبـــة اللهـــو

جـــدّي كمـــا جـــدّ أســـلافٌ لنـــا ســـلفوا ... وطـــاب عـــيشٌ صُـــواهُ الـــودّ والصـــفو!

وأسّ دِيـــــنهمُ حُـــــبٌّ لفـــــاطرهم ... والخـــوفُ منـــه ، وأسٌ بعـــده الرجـــو!

تخـــوّلي القلـــبَ بالتـــذكير تبصـــرة ... جهـــراً إذا استشـــكل الإســـرار والنجـــو

وناصـــحي الأهـــلَ ، لا ترضَـــيْ تـــرهلهم ... أودى بهـــم جهلهـــم والصـــد والغفـــو

وعلمـــيهم مـــن القـــريض أعذبـــه ... ولا يكـــنْ صـــارفاً عـــن ذلـــك النحـــو

ونظمـــي حلقـــاتِ العلـــم تُـــتحفهم ... حتـــى يـــزول ردئُ القـــول واللهـــو

ولقنـــيهم أصـــولَ العِلـــم دون هـــوى ... حتـــى يُـــزينَ بالحقـــائق الجـــو

لا تكتمـــي العِلـــم يحتـــاجُ الجهـــولُ لـــه ... حتـــى يكـــون لـــه بـــين الـــورى شـــأو

وســـامحي مَـــن نـــأى حينـــاً بجانبـــه! ... زيـــنُ النســـاء العطـــا والجـــودُ والعفـــو

(الخاطرة الثامنة والعشرون)

(تحت عنوان: (بلاء المرض وكيفية العلاج) يقول الدكتور عصام بن هاشم الجفري ما نصه بتصرف بسيط: (من نعمة الله أن من ابتلاه الله ببلاء أو مرض فإنه يكون كفارة له ورفعة في درجاته. أخبر عن ذلك الصادق المصدوق بقوله: (لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ ، فِي جَسَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). (الأدب المفرد ، كفارة المريض ح(494)[صححه الألباني]) ، الله أكبر ما أعظم تأثير هذا الحديث في تحمل البلاء والمرض فهل هناك أعظم وأسعد من أن تلقى الله وليس عليك خطيئة ، إنها السعادة الكبرى، فليعلل المبتلى بها نفسه ، وعليه فإنه كل ما كان مرضك أكبر وألمك أشد كان أجرك عند الله أكبر متى ما احتسبته ، وكم من الناس من يتسخط عياذاً بالله حال البلاء أو المرض ولا يصبر على قضاء الله فيرسب في الامتحان فينفذ فيه قدر الله ويُحرم الأجر! والحبيب صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ) (الترمذي - ماجاء في الصبر ،ح(2320). فليعلم كل مريض أنه في نعمة من الله وأن هذا المرض قد يكون من دلائل محبة الله له ، فليصبر وليحتسب ولينتظر الفرج ، فكم من مريض بداء لا نهاية له إلا القبر عافاه الله وعاد يدب في هذه الحياة ، وكم ممن دخل المستشفى في مرض بسيط عاد أهله ليتسلموه من ثلاجة الموتى ، فالله الله في الصبر والاحتساب فإن الله وعد والله لا يخلف الميعاد بقوله: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}! وهنا أتخيل أم عبد الله ظبية أنهكها الجري في رحلة طالت! ولم تكن وحدها التي أنهكتْ ، بل أنهك ظبيها العدو معها في اغتراب طال عن الحد لحكمة يعلمها الله تعالى!)

يـــا عـــزة الخيـــر أوهـــى ظبيتـــي الجـــريُ ... ومِـــــن تتبُعِهـــــا ترهـــــل الظبـــــي

أعيتـــــه همتـــــه عـــــن اللحـــــاق بهـــــا ... فهـــــدّه الـــــوهمُ والإيـــــلامُ والـــــلأي!

وزادهـــــا النـــــاسُ مِـــــن عيـــــونهم حســـــداً ... حتـــــى طـــــواهم أذى العيـــــون والعـــــي

لـــــم يرحمـــــوا غربـــــة أدمـــــت كرامتهـــــا ... وزاد ضـــــنك الحيـــــاة الظلـــــمُ والبغـــــي

فكابـــــدتْ ظبيـــــة فـــــي عيشـــــها شَـــــظفاً ... والســـــيرُ أنهكهـــــا ، وقبلـــــه الجـــــري

فـــــي الأربعـــــين وتســـــتجدي تحمّلهـــــا ... إذ لـــــيس يُســـــعفها عـــــذْوٌ ولا مشـــــي

فـــــي عِيشـــــةٍ قلبـــــتْ ظهـــــرَ المِجَـــــنِّ لهـــــا ... وغربـــــة هـــــي عـــــن أوطانهـــــا نفـــــي

وتحـــــت إمرتهـــــا الظبيـــــاتُ طيّعـــــة ... واليـــــومَ لمّـــــا يعـــــدْ أمـــــرٌ ولا نهـــــي

دَهـــــى الســـــقامُ بـــــلا رفـــــق شَـــــبيبتها ... والطـــــبُ مـــــا عنـــــده لبُرئهـــــا هَـــــدْي

فلتصـــــبري ظبيتـــــي فـــــي مُـــــرّ مُعتـــــرك ... مهمـــــا حـــــلا للظبـــــا مِـــــن حولـــــكِ الرعـــــي

(الخاتمة)

(روى الطبري وصححه الألباني عن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما اختلج عرقُ (أي اضطرب ولا تحرك عرق) ولا عينُ إلا بذنب ، وما يدفع الله أكثر". وقال ابن سيرين – رحمه الله – :"إني لأعلم الذنب الذي حرمت به قيام الليل أربعة أشهر ذاك أني قلت لرجل: يا مفلس"! قال أبو سليمان الداراني: "قلّت ذنوبهم فعرفوا من أين أوتوا وكثرت ذنوباً فلم ندر من أين نؤتى". وروي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يقال له: معاذ الكبير. أصابته مصيبة ، فجزع منها ، وأمر بإحضار النائحات وكسر الأواني. فسمعه حاتم فذهب إلى تعزيته مع تلامذته ، وأمر تلميذاً له. فقال: إذا جلست فاسألني عن قوله تعالى: {إن الإنسان لربه لكنود}! فسأله فقال حاتم: ليس هذا موضع السؤال. فسأله ثانيا ، وثالثا. فقال: معناه أن الإنسان لكفور ، عداد للمصائب ، نساء للنعم ، مثل معاذ هذا ، ان الله تعالى متعه بالنعم خمسين سنة ، فلم يجمع الناس عليها شاكراً لله عز وجل. فلما أصابته مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالى؟! فقال معاذ: بلى ، إن معاذاً لكنود عداد للمصائب نساء للنعم. فأمر بإخراج النائحات وتاب عن ذلك. وسار أحد العلماء ومعه أحد طلابه فمرَّت امرأة فأطلق الطالب بصره فيها ، فقال الشيخ: "والله لتجدنَّ غبها ولو بعد حين" فنسيَ القرآن بعد أربعين سنة ، وقد كان حافظاً له. نعوذ بالله من سخطه وعقابه. وذكر ابن القيم – رحمه الله – بعضها في إغاثة اللهفان: ومنها: حصول الإخلاص في الدعاء ، وصدق الإنابة إلى الله ، والالتجاء وشدة التضرع بمن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ...} ومن فوائد الابتلاء: تمحيص الذنوب ، وبلوغ الدرجات العلية في الجنات".)

يـــا عـــزة الخيـــر حرّكـــتِ الجـــوى فينـــا ... وبـــــات سُـــــقمكِ آلامـــــاً تعنينـــــا

شـــفاكِ ربـــكِ يـــا نبـــراسُ أســـرتنا ... أمنيـــة تلـــك مـــن أغلـــى أمانينـــا

آهاتـــكِ اليـــوم مـــن آهاتنـــا انبثقـــتْ ... ونـــارُ جرحـــكِ رغـــم الأنـــف تكوينـــا

هـــذي الشـــراييُن لـــو تـــدري مُصـــيبتنا ... لقاومـــتْ ، واتقـــتْ رب الســـما فينـــا

وقلبـــكِ الغـــضّ يُضـــنينا توجّعـــه ... شـــفاه رب البرايـــا ، والشـــراييِنا

وعُـــدتِ ســـالمة مـــن كـــل مُوجعـــةٍ ... فـــلا تُعـــانين ممـــا عشـــته حِينـــا

وبُـــؤتِ بـــالخير يجلـــو مـــا ابتُليـــتِ بـــه ... حتـــى نقـــدِّم مِـــن أزكـــى تهانينـــا

حتـــى نـــراكِ هنـــا فـــي خيـــر عافيـــةٍ ... تســـتوعبُ الـــدينَ والحيـــاة والـــدينا

كـــي تنعمـــي بحيـــاةٍ كلهـــا رَغـــدٌ ... يكـــون طابعُهـــا التيســـييرَ واللينـــا

وأخـــتِمُ الخـــاطراتِ الغيـــد منتظـــراً ... رضـــاكِ عـــنهنّ ، قلبـــي قـــال: آمينـــا

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

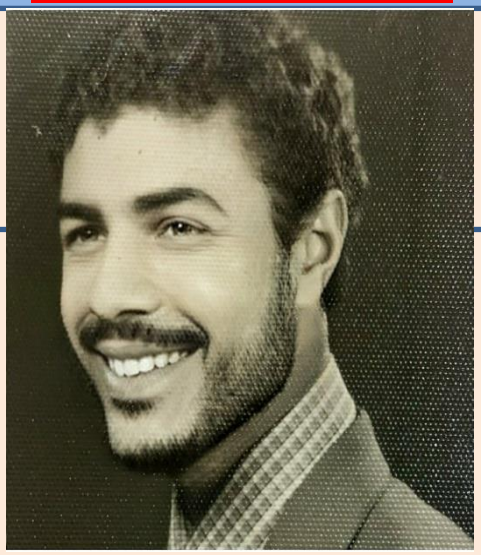

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض!

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
6 - Conversation Skills
7 - Correction Exercise (1-100)
8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
9 - Grammar Tasks (1-77)
10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond’s Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!